الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي
"رؤية تحليلية"

إعداد

د. أسماء محمد أحمد يونس

مدرس أصول التربية - كلية التربية - جامعة المنيا

مستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى التأصيل الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية وذلك باستقراء بعض الدلائل من القرآن والسنة وأقوال وسير بعض علماء المسلمين والتابعين من السلف الصالح ، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي إلى جانب المنهج الفلسفي للوقوف على ما وضعته الشريعة الإسلامية من ضوابط ومعايير لتنظيم ممارسة تلك الحرية ، وقد خلصت الدراسة إلى أن الحرية الأكاديمية حق وتكليف شرعي أقره الدين الإسلامي بل وأعلى من شأن تلك الحرية إلى مرتبة الفريضة .

كما أبرزت الدراسة أهم الضوابط والمعايير الأخلاقية والأكاديمية التي يمارس الأكاديميون في إطارها حريتهم في البحث والتفكير والتدريس والتعبير عن الرأي ، وقد تمثلت تلك الضوابط في عدم المساس بالمقدسات والغيبيات ، وتجنب التبعية الفكرية والإمعية والتقليد الأعمى ، والموضوعية والتجرد عن الهوى ، بالإضافة إلى الإستقامة والأمانة والنزاهة العلمية .

وكشف الدراسة أيضاً عن جملة من الوسائل التربوية الداعمة والمعززة لممارسة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي ، وتمثلت في إطلاق حرية التعبير عن الرأي وإطلاق حرية الاجتهاد وكذلك فتح المنافذ أمام كل المعارف مما يؤكد على الأصول الإسلامية للحرية الأكاديمية.

الكلمات المفتاحية : الحرية الأكاديمية ؛ الفكر التربوى الإسلامى ؛ البحث العلمى

Academic freedom from the perspective of Islamic educational thought 'Analytical vision'

Asmaa Mohamed Ahmad Younis
Lecturer of Fundamentals of Education
Faculty of Education - Minia University

Abstract :

This study aimed at the Islamic rooting of the cause of academic freedom by extrapolating some evidence from the Qur'an and the Sunnah and the sayings and biographies of some Muslim scholars and followers of the righteous predecessors, The researcher used the descriptive approach in addition to the philosophical method to find out the controls and standards set by Islamic law to regulate the exercise of that freedom ,The study concluded that academic freedom is a right and a legal mandate approved by the Islamic religion, and even higher than that freedom to the level of an obligation.

The study also highlighted the most important ethical and academic controls and standards in which academics exercise their freedom to research, think, teach and express opinion, and those controls consisted of not prejudice to sacred things and unseen, avoiding intellectual and collegial subordination, blind imitation, objectivity and impartiality, integrity, honesty and scientific integrity, The study also revealed a set of educational means that support and enhance the exercise of academic freedom from the perspective of Islamic educational thought, and it was represented in the release of freedom of expression and freedom of opinion, freedom of jurisprudence, as well as the opening of outlets for all knowledge, which confirms the Islamic principles of academic freedom.

Key words : academic freedom , islamic educational thought , scientific research

المقدمة :

الحرية حق أساسي وقيمة هامة في حياة الأفراد لا تستقيم الحياة بدونها ، وهى تمثل إحدى أهم الاحتياجات الأساسية التي يتوق الأفراد دائمًا إلى نيلها وإشباعها في كل جانب من جوانب الحياة .

وينظر للحرية على أنها صدى الفطرة ومعنى الحياة ، يشب المرء من نعومته وهو يحس بأن كل ذرة في كيانه تنشدها وتهفو إليها ، وكما خُلقت العين للبصر والأذن للسمع ، وكما لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التي تعتبر امتداد لوجودها ، كذلك خُلق الإنسان ليُعز لا ليُذل ليُكرم لا ليُهون ، ويفكر بعقله ويسعى ويكدح ولا يشعر وهو يباشر ذلك كله بسلطان أعلى يتحكم في حركاته وسكناته إلا الله الفرد الصمد ربه ورب الناس أجمعين " (محمد الغزالي ، 2005 : 72) هكذا وصفها محمد الغزالي ، ومن وجهة نظر تربوية الحرية إحدى العلامات المميزة للطبيعة الإنسانية ولكي يكتسب الفرد إنسانيته عليه أن يكون قادرًا على اختيار ما سوف يكون عليه وما سوف يقوم به لا أن يتبع تبعية مجردة أوامر الضرورة الفطرية ، فحرية الاختيار عامل أساسي في تشكيل وعي الإنسان ودور التربية هو العمل على نمو الحريات الأساسية التي هى السبيل لتنمية الذات الحقيقية (سعيد إسماعيل ، 1991 :137-138) ، ويتوقف دور التربية التنموي في تعزيز الحرية لدى الأفرد على عديد من العوامل الفاعلة في حياة الفرد والجماعة من أهمها الجانب الديني .

والدين الإسلامي هو خير مربٍ عرفته البشرية وهو دين الفطرة وفطرته الحرية ، وحرية العقل هى أن يفكر ومهمة التربية الإسلامية هى تربية هذه الفطرة وتزكيتها ، لذا أكبر الإسلام من شأن العقل أيما إكبار بحسبانه أجل نعم الله على الإنسان فحثه على إخراج مكنونات هذا العقل وجواهر فكره ، أما الشرائع الأخرى وضعية كانت أم سماوية فهيهات أن تبلغ ما بلغته الشريعة الإسلامية ، فهاكم أوروبا لم تعرف تحرير الفكر وإطلاق سلطان العقل قبل الثورة الفرنسية ، حتى أن " فولتير" و" وروسو" اللذين كدحا في هذا المضمار كدحًا لم يفلتا من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية تارة ومن اضطهاد الدولة تارة أخرى فكانت السلطة لا تقرأ فكرًا لمفكر أو نظرية لعالم إلا إذا صادف ذلك رغباتها واتجاهاتها الفكرية (عاصم حمد ، 1990 :12 -13) .

لذلك فالفكر كحق طبيعي للإنسان يستوجب التحرر والدفاع عنه لأنه مطلب أساسي لتحقيق معنى الوجود الإنساني وحمل أعباء مسؤولية الخلافة الإنسانية في الأرض وما يترتب عليها من سعي دائب مستمر في ترقية كافة جوانب الحياة وإصلاحها وإعمارها (عبد الحميد أحمد ، 1991 : 161-162) .

وبما أن الحرية الفكرية غريزة فطرية ملازمة لكينونة الإنسان فسوف يتمخض عنها أنواع تتعدد بتعدد أوجه النشاط الإنساني ، ومن أهمها حرية الفكر في الجانب العلمي والأكاديمي والتي عُرفت حديثاً باسم الحرية الأكاديمية ، أي أن الحرية الفكرية تعد المظلة التي تضم تحتها حريات عديدة منها الحرية الأكاديمية .

وتختص الحرية الأكاديمية بكافة حقوق الإنسان في المجال الأكاديمي سواء كانت حرية فكر أو رأي أو تعبير فهى تتضمن حرية الأفراد في البحث والنشر والتدريس والدراسة دون الخضوع لأي تدخلات ، وتمنح على أساس الاعتقاد بأنها تعزز من تطبيق المعرفة (Akerlind, Gerlese S & Kayrooz , Carole, 2003 : 329)، وتبرز أهمية الحرية الأكاديمية من خلال ما تمنحه لمجتمع الأكاديميين من حقوق وحريات في مجالات البحث والتدريس في مجال التخصص داخل وخارج الجامعة التي يعملون فيها، وهذه الخاصية مستمدة من الوظيفة الأساسية للجامعة في التعامل مع المعرفة إنتاجًا ونقلاً وتطبيقًا ، وكذلك حريتهم في إجراء بحوثهم ، واختيار مناهجها ، ونشر نتائجها دون معوقات وهو ما يؤدي إلى مستويات مرتفعة من الإنتاجية البحثية حيث تشجع تلك الحرية الباحثين على طرق مجالات بحثية جديدة وبحثها ومناقشتها وتحرير الباحث من قيود فرضت عليه اجترار موضوعات مستهلكة بعيدة عن الإبداع والتميز . (محمد محمد سكران ،2001 : 58) (محمد نور ، 2000 : 255) (عمير بن سفر ، 2018 : 117) .

وترتب على أهمية الحرية الأكاديمية كقيمة علمية وأخلاقية في كل مراحل العمل الأكاديمي أن أصبحت محور تركيز العديد من دراسات وكتابات التربويين ما بين النشأة ، والصعوبات ، والوسائل الداعمة وغيرها ، وتختص الدراسة الحالية بالبحث والتأكيد على الأصول الإسلامية لتلك الحرية .

مشكلة البحث :

يُنظر للحرية الأكاديمية على أنها مظهر هام من مظاهر ديمقراطية النظم التعليمية ، وهى تعني بحرية التعليم والتدريس ويعتبرها المربون مثلًا أعلى يقوم على أساس الاعتقاد بأن البحث عن الحقيقة هو شيء هام لدرجة لا يجوز معها فرض القيود مهما كانت النتائج التي تم التوصل إليها ومهما أثارت من جدل أو نقاش طالما أنها في حدود القوانين والأعراف المرعية في المجتمع (محمد منير ، 2009: 97) ، وانطلاقا من تلك المكانة الهامة التي نالتها الحرية الأكاديمية بين الأكاديميين وفاعليتها في النهوض الفكري بالتعليم العالي من حيث ثراء الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس والابتكار والإبداع في مجال تدريسهم والارتقاء بمستوى الوعي والفكر لدى طلابهم لم يتوان العديد من الكتاب في محاولة الدفاع عنها وتوثيق الاعتراف بها عالميًا ومحليًا عبر الإعلانات والمواثيق الدولية ، كما كانت هناك محاولات حثيثة من المفكرين والتربويين شرقًا وغربًا في التنافس حول إثبات نسب الحرية الأكاديمية والبحث في نشأتها الأولى.

فهناك فريق يرى أن لها جذورا ألمانية نتيجة الأحداث الفكرية والاجتماعية التي حفلت بها الجامعات في العصور الوسطى ومن أبرزها ما حدث مع زعيم حركة الإصلاح الديني "مارتن لوثر" وما أثاره حول ضرورة توفير حرية التعبير ضمن أروقة الجامعة نتيجة صراعاته مع الكنيسة واضطهادها له وطرده من عمله (علاء الدين كاظم ، 2012 :24) ، وهناك رأي آخر يؤكد بأن أصولها ترجع إلى اليونانية حيث كانت حرية التعليم والتعلم مكفولة للأساتذة وطلابهم ومثلوا بذلك مجتمعًا علميًا متميزًا داخل أثينا التي كانت تمثل سوقاً رائجة بالمذاهب الفكرية المتعددة من مثالية وواقعية ووجودية وغيرها (محمود مصطفى ، 1999 :144) .

وعلى الرغم من تنوع الآراء حول البدايات الأولى للحرية الأكاديمية لكنها أجمعت في مجملها على أنها غربية الأصل ولم يكن للإسلام أو لبلاد المشرق نصيبُ من تلك البدايات وهذا ما عبر عنه البعض الذي ينادي بأن الحرية الأكاديمية تستمد أصولها من الفكر الغربي.

وهذا " قمبر" الذي يري بأن التعليم في الحضارة الإسلامية سار في فلك الدين وأنظمته وأحكامه وتعاليمه فكان مذهبياً ولكل مذهب أصحابه الذين يكونون جماعة منغلقة فكرياً وعقدياً ولها تعليمها الخاص الذي يتبعه الشيوخ والتلاميذ في حلقاتهم ولم يكن لهم

حق الاجتهاد أو حرية التدريس بل كان يفرض عليهم اتباع الأئمة وكتب السلف(محمود مصطفى قمبر ، 1999: 31 ـ 32) ، وها هو "محافظه" الذي يرى أن الحرية الأكاديمية مفهوم غربي حديث لا صلة له بالحرية التي كان يتمتع بها التلميذ والشيخ في مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية العربية الإسلامية القديمة وذلك لأن جامعاتنا كغيرها من المؤسسات الثقافية والاقتصادية أخذناها عن الغرب برضى واختيار منا أو فُرضت أثناء الهيمنة الغربية على بلادنا مع استثناء بعض المؤسسات كالأزهر في مصر والزيتونة في تونس (علي مفلح محافظه ، 1994 :103).

هذا من جانب مفكري الشرق أما هؤلاء المستشرقون فقد زادت افتراءاتهم وادعاءاتهم على الإسلام وحضارته بوصفه دينًا لم يعرف سوى التعصب والتسلط وكبت الحريات .

فقد امتدت أصابع بعض مفكري الغرب وفلاسفته باتهام الفكر التربوي الإسلامي باضطهاد المفكرين والتضييق على حرية الفكر وذلك بضرب الأمثلة بمقتل الحلاج والسهرودي واضطهاد ابن رشد في مقابل جالليو وغيره ، وهى مقارنة باطلة لأن الحلاج والسهرودي لم تقتلهما آراؤهما الفكرية بل كانت خيانتهم واتصالهم بالخارجين على الدولة الإسلامية وقد ثبتت عليهم مكاتيب صريحة بذلك الأمر ، أما ابن رشد فكانت علاقته قوية بالخليفة لكن خصومه عملوا على إثارة الفتن حوله مما أدى بالخليفة إلى الأمر بنفيه وحرق كتبه ولكن ابن رشد عاد بعد ذلك وتمكن من إصلاح علاقته بالخليفة ، وكل ما ردده دعاة التغريب والغزو الثقافي حول هذا الأمر ما هو إلا تحريف للأصول التاريخية للفكر التربوي الإسلامي وإثارة الشبهة حول الإسلام وموقفه من حرية الفكر (أنور الجندي ، 1984 : 28ـ30) ، كما جاءت آراء " فرح أنطون" التي بنيت على أساس العلمانية وعدم معرفته بالتراث الإسلامي العقلاني فجعلته يعزو الحرية إلى الغرب متهمًا الإسلام باضطهاد العلم والعلماء ويرى أن فصل السلطتين الدينية والسياسية هو سبب تقدم الغرب وحصوله على الحريات الفكرية واحترام الرأي الآخر ، والحل الوحيد لازدهار العلم في بلاد الشرق هو فك هذا الارتباط والسير على النزعة العلمانية (حسن حنفي ، 2009 : 205) ، هؤلاء الطاعنون زعموا أنه لا يجوز للدين أن يقف في سبيل الرقي العلمي وينبغي أن يُفصل بين الدين والدولة ، وأن حرية الفكر الإنساني تستلزم إطلاقه وألا يتقيد بشيء من قيود الأديان ، وهؤلاء لو كان لهم علم بأصول القرآن ووقوف على ما مُكن

للعقل والوجدان وأُرسى من قواعد الحرية الصارمة لما زلت لهم قدم في مزالق التقليد (عبد العزيز جاويش ، 2011 : 245 ـ 246) .

وقد يكون مرجع تلك الادعاءات على الإسلام هو عدم الفهم الواعي لصحيح هذا الدين والأخذ بظواهر بعض الأحداث والشواهد التي جرت في بعض العصور الإسلامية أو المحاولات المستميتة لتشويه الحضارة الإسلامية والقضاء عليها ومحاولة إقناع المسلمين والعرب بالصورة الغربية للإسلام.

كما أن وصف الفلسفة الإسلامية بأنها يونانية مكتوبة بالعربية وإنكار دور القرآن في تحرير العقل ونهضة الفكر الفلسفي هو من غير المنصف لأن الفلسفة اليونانية قد دخلت على الفكر التربوي الإسلامي بعد قرنين كاملين من ظهور الإسلام أي بعد أن اكتملت مقومات هذا الفكر واتضحت معالمه ولما كان أساس الثقافة الإسلامية هو القرآن فقد رفض الفكر الإسلامي من الفكر الهليني التماثيل والصور وتعدد الآلهة ورفض رأي أرسطو في الله واصطنع فلسفة خاصة تتلاءم مع مفهوم التوحيد وقد بدت الفلسفة الإسلامية في ثوب العلانية والصراحة وهو ما يخالف غموض الفلسفة اليونانية (أحمد محمد ، 1995: 196) ، (أنور الجندي ، 1984 : 18) .

وترى الباحثة أن حرية العقل في التفكير والتدبر وحرية الإنسان في التعبير عن فكره بأي وسيلة هى من أهم خصائص الفكر التربوي الإسلامي ، وتلك الحريات هى جوهر الدين الإسلامي ومبادئه وهى تكليف شرعي أقرته الشريعة الإسلامية سنةً ومنهاجًا ، وتكليف الإنسان بإعمال عقله وممارسة تلك الحريات في مجال العلم والمعرفة هو ذاته مضمون الحرية الأكاديمية التي أنكرها الكثيرون على الإسلام وأن كانت التسمية بـ "الحرية الأكاديمية" كمسمى غربي النشأة فهذا لا يعني أن مضمونها ملك لثقافة أو فلسفة بعينها أو حكر على جنس دون الآخر، غير أن المضمون الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية يتميز بالوضوح والشمول في تبيانه لضوابط ومعايير وأخلاقيات الحرية الأكاديمية وهذه النظرة الشمولية يفتقر إليها المضمون الغربي وهو ما تعكسه آراء بعض فلاسفة الغرب وهو ما سيتم إيضاحه في معرض البحث ، لذا فإن مسعى الدراسة الحالية هو الوقوف على الأصول التشريعية والقواعد الضابطة للحرية الأكاديمية من منظور الفكر

التربوي الإسلامي والاستدلال على ممارستها ، وعليه فإن مشكلة البحث تتبلور في التساؤل الرئيس التالي وهو :

ما منظور الفكر التربوي الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية ؟

وعنه تتفرع التساؤلات الاتية :

1. ما الآراء الفلسفية المختلفة حول الحرية الأكاديمية ؟
2. ما مكانة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي ؟
3. ما المعايير والقواعد الضابطة للحرية الأكاديمية وفق منظور الفكر التربوي الإسلامي ؟
4. ما الوسائل المعززة لممارسة الحرية الأكاديمية والشواهد الدالة على ذلك في الفكر التربوي الإسلامي ؟

هدف الدراسة :

مسعى الدراسة الحالية هو التأصيل الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية والاستدلال عليها باستقراء الفكر التربوي الإسلامي في جانب القرآن الكريم والسنة النبوية وسير وأقوال بعض العلماء و التابعين ، وتضمين ذلك بالتنظير لهذه القضية من حيث المفهوم وبيان الضوابط المنظمة لها والوقوف على الوسائل المعززة لها .

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية الدراسة في النقاط التالية :

- طرحها قضية فلسفية هامة وملحة على الساحة التربوية حيث حاجة الأكاديميين لممارستها لما لها من فاعلية بالنهوض والإرتقاء بمستوى التعليم الجامعي فرديًا ومؤسسيًا .
- كشف الغموض والفهم الخاطئ الذي يعتري مفهوم الحرية الأكاديمية لدى مجتمع الأكاديميين من حيث مقدار ومساحة الحقوق المتاحة والواجبات التي ينبغي الالتزام بها في إطار تلك الحرية المسئولة .

- مواجهة التحديات الثقافية المعاصرة وادعاءات الغزو الثقافي ودعوات التغريب الموجهة نحو الدين الإسلامي واصفة إياه بالكبت والتضييق على الحريات الفكرية والأكاديمية .
- تقديم إطار نظري لمعالجة قضية الحرية الاكاديمية من منظور إسلامي .
- إفادة مجتمع الأكاديميين من باحثين وأعضاء هيئة تدريس بتكوين رؤية تربوية متكاملة لتوجيههم حول كيفية ممارسة الحرية الأكاديمية في كل المناشط الأكاديمية.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية المنهج الوصفي لتحقيق أهدافه ؛ لأنه يساعد في الوصول إلى حقائق دقيقة عن الظروف القائمة وكذلك يمكن استنباط علاقات مهمة بين الظواهر الجارية وتفسير البيانات(ديوبولد فان دالين ، 1999 : 333) ، كما تستند الدراسة إلى المنهج الفلسفي التحليلي الذي يقوم على الاستنباط العقلي وهو حركة ذهنية نستنتج بها شئ مجهول من شئ معلوم ، ويُراد به البرهنة على قضية عن طريق مبادئ عامة تصدق عليها وبه نستخلص من شئ نعرفه معرفة يقينية نتائج تلزم به (كامل محمد ، 1993: 20- 21) ، واعتماداً على ذلك سوف تسير الدراسة وفق الخطوات التالية :

- أولاً : الآراء الفلسفية المختلفة حول الحرية الأكاديمية .
- ثانياً : مكانة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي .
- ثالثاً : الضوابط والمعايير المنظمة لممارسة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي
- رابعاً : الوسائل المعززة لممارسة الحرية الأكاديمية والشواهد الدالة عليها في الفكر التربوي الإسلامي.

مصطلحات الدراسة :

1. الحرية : وردت في قاموس جون ديوي بمعنى " إطلاق القدرة من أيما شيء يكفيها " (رالف ن . وين ، 1964 : 86)، وفي قاموس ويبستر(Webster) جاءت بمعنى

freedom وتعنى الحالة التي يكون فيها الفرد حرًا في غياب الضرورة الجبرية والقيد على الاختيار (Webster Inc, Merriam 1991:491) ، وعرفها المعجم الفلسفي بأنها " حال الكائن الحي الذي لا يخضع لقهر أو غلبة ، ويفعل طبقاً لطبيعته وإرادته " (مجمع اللغة العربية ، 1983 : 71) ، وفي المعجم الموسوعي الحرية هي إمكان الفرد أن يعمل ويقرر بتفكير مستقل (نوربير سيلامي ، 2000 : 962) ، وقد فرق بعض التربويين ، بين معنيين للحرية وهما : الحرية في معناها السلبي وهى أن تكون حرًا بلا وصاية ضاغطة أو رقابة ثقيلة أو تدخل كابح ، أما معناها الإيجابي يعني حرية اتخاذ القرار وأن يكون لك حق الاختيار أو الفعل بطريقة ذاتية ولن تكون الحرية حرية إلا بالممارسة والقدرة على انتظام هذه الممارسة(محمود مصطفى ، 1999 : 137) .

ووفقا لما سبق فالحرية لا تخرج عن القدرة على اختيار الفعل والقيام به أو عدم اختيار الفعل ورفض القيام به دون تدخل أو ضغط خارجي ، وهو مالا يمنع أن تكون لهذه الحرية ضوابط فهى ليست مطلقة وهو ما يمنحها المسؤلية والالتزام ، وتتواجد الحرية عندما تغيب القوى الجبرية ، ووجود قوى ضاغطة تتحكم في الفرد يعطي للحرية معنى وقيمة في المطالبة بها .

2.الأكاديمية : Academic " أصل هذه اللفظة يوناني أُطلق على المدرسة التي أنشأها أفلاطون ، والأكاديمية في العصر الحديث تعني جمع من العلماء لتطوير الآداب والعلوم "(مراد وهبه ، 1998 : 85 ـ 86)، وتطلق كلمة أكاديمي على الشخص الذي يكون عضوًا في مؤسسة تعليمية يفكر ويبحث ويتبع طرقًا أكاديمية ، والأكاديمية تتعلق بمؤسسة التعليم العالي وترتبط بالأداء داخل الفصول الأكاديمية (Webster Inc Merriam, 1991:48)، وفي معجم المصطلحات التربوية والنفسية ترتبط كلمة أكاديمية بالنشاط الفكري والتجريدي في مقابل النشاط الحرفي أو العملي أو المهني (حسن شحاته ، وزينب النجار ، 2003 : 57) .

تلك المفاهيم مؤداها أن الأكاديمية هو مصطلح مرتبط بالأنشطة والممارسات الفكرية والعلمية ، ويلزم لفاعلية وكفاءة تلك الممارسات فضاء من الحريات التي تسمح بممارسة التفكير الحر المستقل وهذا هو مضمون الحرية الأكاديمية ، وعليه يمكن تعريف الحرية الأكاديمية إجرائيًا بأنها حرية أعضاء المجتمع الأكاديمي من أعضاء هيئة

تدريس وباحثين في نشر المعرفة وتتبع الحقائق من خلال التدريس والبحث العلمي والتعبير عن الرأي .

3 ـ الفكر التربوي الإسلامي : Islamic Educational Thought تعتمد الدراسة الحالية على الفكر التربوي الإسلامي كموجه وضابط لهذه القضية حيث يضع هذا الفكر الحدود والضوابط الحاكمة لممارسة أعضاء المجتمع الأكاديمي لحريتهم الأكاديمية وذلك لما أولاه الإسلام من مكانة للعلم والعقل وحقه في التفكير الحر المستقل وإعلائه هذا الحق إلى مرتبة الفريضة .

دراسات سابقة :

نظراً لطبيعة الدراسة الحالية والتي تمثل أحد سبل المواجهة والرد على ادعاءات الغزو الفكري والتغريب الثقافي الموجهة نحو الأصول الثقافية الإسلامية والعربية ، ونظرًا لكثرة الدراسات السابقة التي تناولت قضية الحرية الأكاديمية وخاصة في الجانب الميداني ، فإن الدراسة الحالية سوف تكتفي ببعض الدراسات التنظيرية ذات الطبيعة التحليلية والفلسفية والنقدية التي ركزت على أصل المفهوم ونشأته أو موقف بعض الاتجاهات الفكرية من الحرية الأكاديمية أو الفكرية وهو ما يتواءم مع طبيعة الدراسة الحالية ، ومن هذه الدراسات ما يلي :

دراسة (محمود مصطفى قمبر، 1999) التي بحثت في مفهوم الحرية الأكاديمية وأصوله ونشأته وكذلك قدمت تحليلاً لأوضاع الحرية الأكاديمية بالجامعات العربية في رؤية مقارنة لها مع الجامعات الغربية ، ومن أهم ما توصلت إليه حول أصول الحرية الأكاديمية أنها غربية المنشأ حيث نشأت مع تعاطف البابوية وتشجيعها لنمو العلم والتعليم في مدارس الكاتدرائيات التي تحولت إلى جامعات ، ونفت الدراسة أن تكون هناك أصول إسلامية للحرية الأكاديمية فالتعليم كان في العصور الإسلامية دينيًا ومذهبيًا لم يعرف حق الاجتهاد أو حرية التدريس (محمود مصطفى ، 1999 : 135 ـ214) .

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في أنها دراسة نظرية تبحث في أصول الحرية الأكاديمية وتحقيقًا لذلك قد استخدمت منهجًا تحليليًا نقديًا ، ولكنها تختلف مع الدراسة الحالية في نفيها للتأصيل الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية .

أما دراسة (تيسير بن حسين ، 2009) فقد ألقت الضوء على موقف الفكر التربوي الإسلامي من قضية حرية الإرادة ، فقد تتبعت الدراسة الآراء الفلسفية لمفكري الإسلام حول تلك القضية وأبرزت مظاهرها والوسائل المعززة لها في التربية الإسلامية ومن أهم ما توصلت إليه أن هناك انقساما بين الفرق الإسلامية حول حرية الإرادة فهناك موقف الجبر ويمثله الجبريون وموقف الاختيار ويمثله المعتزلة وكذلك موقف وسط بينهم ويتخذه الأشاعرة ، كما كشفت الدراسة عن مظاهر تلك الحرية وهى حرية العقيدة وحرية التفكير وحرية الرأي (تيسير بن حسين ، 2009 : 391 ـ 437).

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في اعتمادها تحليلًا فلسفيًا يبحث في مجال الفكر التربوي الإسلامي ، ولكنها تركز على قضية حرية الإرادة أما الدراسة الحالية فقضيتها الحرية الأكاديمية والعلمية ، وقد استفادت الدراسة الحالية من البناء النظري لتلك الدراسة حيث مظاهر حرية الإرادة في الفكر التربوي الإسلامي التي تتلاقي في بعض منها مع مظاهر الحرية الأكاديمية .

أما دراسة (ليلى توفيق ، 2011) فقد سلطت الضوء على الحرية الفكرية التي كانت تحت ظل الإسلام فتطرقت إلى حرية المعتقد وحرية الرأي والرأي الآخر والنقد وتأثير تلك الحرية على النشاط العلمي وتتبعت الدراسة ذلك النشاط في بعض العصور الإسلامية ، كما ركزت الدراسة على بيان التصورات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي جاء بها المستشرقون والمتأثرون بهم في الحضارة العربية الإسلامية ، وبالوصف والتحليل توصلت الدراسة إلى أن الإسلام دعى إلى حرية الرأي والمعتقد والفكر وأن الدولة الإسلامية كانت منفتحة على الأمم الأخرى معرفيا من خلال النقل والترجمة وتبادل المعارف مع اليونان والفرس فكان النشاط العلمي العربي محط إعجاب من قبل علماء الغرب المنصفين (ليلى توفيق ، 2011: 330 ـ 348) .

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في أن كلتيهما تبحثا في مجال الحريات الفكرية وموقف الإسلام من تلك الحريات وقد اتفقتا على أن هناك موقفا مؤيدا وداعما للدين الإسلامي تجاه حرية الرأي والفكر ، وقد اختصت هذه الدراسة بالحريات الفكرية عامة ، أما الدراسة الحالية فقد ركزت على الحرية الأكاديمية أو حرية الفكر في المجال العلمي محاولة التأكيد على الأصول الإسلامية لتلك الحرية .

عناصر الدراسة :

أولاً : الآراء الفلسفية المختلفة حول الحرية الأكاديمية :

تتميز مشكلة الحرية بالحيوية المتجددة فهى كانت وستظل دومًا القضية المؤرقة لفكر الفلاسفة والتربويين إما لمحاولة تحديد ماهيتها أو ضوابطها وحدودها أو أصولها فهى من أغنى المشكلات الفلسفية العميقة الباعثة دائمًا على التفكير لارتباطها بمغزى الوجود الإنساني لذا تتشعب معانيها تبعًا للمجال المنظورة فيه وتبعًا للخلفية العقائدية لمن يتحدث بها وقناعاته الثقافية .

فالحرية بوجه عام تعني أن ينطلق الإنسان من القيود فيتصرف كيفما شاء ولكن إطلاقها على هذا النحو بالنسبة للإنسان وقت حفت به الشهوات والأهواء ربما يجني على حقوق الآخرين وحرياتهم ومن ثم وجب ضبطها بما ينظم استخدامها في دائرة لا تضر بالآخرين وحينئذ لاتختلط الحرية بالفوضى بل تصبح حرية مسؤولة ، وتنقسم الحرية إلى قسمين رئيسيين أولهما حريات تتصل بمصالح الأفراد المادية ، وثانيهما حريات تتصل بمصالح الأفراد المعنوية ومن هذا الأخير تنبثق الحريات الفكرية التي يتمخض عنها كل أنواع الحريات المرتبطة بنشاط العقل الإنساني ومن أهمها الحرية الأكاديمية . (عاصم حمد ، 1990: 11 ـ 12) .

وحرية التفكير أو الحرية الفكرية هى حق أساسي من حقوق الإنسان وتعنى أن لكل فرد الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، ومن ثم السعي للحصول على المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها من خلال أي وسائط وبغض النظر عن الحدود(Sturges, Paul , 2016 : 168)، كما أنها أداة تعبير عن حرية إرادة الإنسان التي تمكنه من التمييز بين الفضائل والرذائل لذا فإن انطلاق الفكر في عصر ما هو دلالة على مدنية ورقي هذا العصر (عبد اللطيف بن سعيد ، 2000: 154-156) ، أما الحرية الأكاديمية ما هى إلا حرية فكر في المنحى الأكاديمي فهي مفهوم مركب يحمل التفصيل بعد الإجمال ، وتفصيله هو مصطلح الأكاديمية الذي يشير إلى قيام العقل الإنساني بوظائفه الذهنية والفكرية ويجب ان يُيسر هذا العقل لما خُلق له من خلال تحريره وهنا تحل الحرية الأكاديمية مطلبًا وليست ترفًا أكاديميًا .

وفي حال نعت الحرية بالأكاديمية فسوف ينسحب عليها خصائص وسمات النشاط الأكاديمي وتصبح معبرة عن حق أعضاء المجتمع الأكاديمي من أساتذة وطلاب في أي مؤسسة تعليمية في أن يتم تقييم أفكارهم والحكم عليها وفقًا لمدى إمكانية استخدامها في إجراء حوار أو نقاش علمي وليس وفقًا لسلطة الباحث ويعتمد ذلك على ما يتوفر من حرية للبحث العلمي وأحقية الباحثين في البحث عن الحقيقة وتتبعها من جذورها ونشرها بدون قيود (رضا إبراهيم ، 2011: 143 -145) ، وأكد معجم علم النفس والطب النفسي على هذا المعنى للحرية الأكاديمية فعرفها بأنها "حرية البحث والفكر داخل المؤسسات التربوية وحرية المعلم في طريقة التدريس " (جابر عبد الحميد ، وعلاء الدين كفافي ، 1988: 17) مما يؤكد أن الحرية الأكاديمية هي حق أصيل لكل باحث أو أكاديمي داخل أي مؤسسة تعليمية.

وتتميز قضية الحرية الأكاديمية وحرية الفكر بطبيعة جدلية وعمق وبعد فلسفيين يتبلور من خلال رؤى وأفكار بعض الفلاسفة والباحثين في أصول الحرية الأكاديمية والتي يمكن طرحها فيما يلي :

تحدث " كانط " عن حرية التفكير من خلال مثلث (الحرية ـ التنوير ـ العقل) فمهمة الفلسفة حسب " كانط " هي تحرير الإنسان ، وهذا التحرير لن يتأتى إلا بمنح حرية التفكير والتعبير للفيلسوف ، فحرية التفكير ضرورة ومنطلق أساسي لكنها لا تكفي لبلوغ مواطنة كونية فالتفكير عمل خاص ولكي يصبح ذا أهمية يجب أن يقترن بحرية نقل هذا التفكير إلى الواقع أي التحرر ويصبح العمل التحرري مقترنًا بالخطابة والحديث والبحث والمناقشة أو بواسطة اللوائح والمنشورات المختلفة (لسلي ليبسون ، 1970 : 212) ، لذلك تحدث " كانط " عن مفهوم السيادة وهو يرى أن لا حديث عن المعاني والقيم لدى أفراد لا يملكون سيادتهم على أفكارهم وأعمالهم ولا حديث عن مجتمع مدني من دون أن يكون نسيجه يتألف من إرادات الأفراد الحرة لذلك فهو يدعو إلى نشر الأنوار والخروج عن أشكال السلطة وذلك مقرون بحرية استعمال العقل في فهم الطبيعة والطبيعة البشرية (سمير بلكفيف ، 2011 :167 -171) ، ويؤكد كانط في رؤيته لضرورة تحرر الفكر من القيود أن القسر والإكراه المدني يتعارض مع حرية التفكير فقد تسلب سلطة عليا حرية الكلام أو الكتابة ولكنها لا يمكن أن تسلبنا تفكيرنا ، ولكن ما أهمية تفكيرنا وصوابه إن لم نفكر ضمن جماعة آخرين نبلغهم أفكارنا ويبلغونا أفكارهم ؟ ، وتتعارض

أيضاً حرية التفكير مع القسر المسلط على الضمير الخلقي عندما ينصب بعض المواطنين أنفسهم بعيداً عن أي سلطة خارجية أوصياء على الآخرين في أمور الدين ويحرمون كل نظر عقلي ، ولكن هذا الاستقلال المطلق كما يرى "كانط" في إطاره لا ينفك العقل الإنساني عن التوق إلى الحرية فيكسر قيوده وينقلب في استعماله للحرية إلى مغالاة وثقة متهورة في استقلال قدرته عن كل قيد والاقتناع التام بالسلطة المطلقة للعقل التأملي الخالص ، وهنا تتجرد القوانين الأخلاقية من قوتها الكاملة ويتولد نمط من التفكير يسمى بالإباحية الفكرية وبمقتضاه لن يتم الإقرار بأي واجب وتتحول الحرية إلى فوضى فتقوض حرية التفكير نفسها بنفسها عندما تجرؤ على الاستقلال عن قوانين العقل (أمانويل كانط ، 2005 : 111- 114) .

يتركز كلام "كانط" في أن الفكر لن يجدي شيئًا إلا إذا نُقل للآخرين وتمت الإفادة منه ، وهذه الإفادة مشروطة بممارسة هذا الفكر في كنف مجتمع ينعم بالحرية لا سلطان فيه لفكر أحد على الآخر فإن كانت هناك إرادة حرة للأفراد فإنها سوف تنعم بحقها في إعمال العقل وممارسة التفكير ولكنه يؤكد ايضًا على وجوب أن تكون هناك ضوابط ومعايير لهذا الاستقلال الفكري وألا يكون مطلق من أي قيد ، فالقيود تُحمل هذا الفكر المسئولية والالتزام وإلا تحولت إلى فوضى ، وفي إطار ما نادى به " كانط " تصبح ممارسة العضو الأكاديمي لحريته الأكاديمية في البحث والتدريس مرهونة بالاستقلال الفكري للجامعة الحاضنة له ، كما أن هذا الاستقلال يجب أن يكون مقرونًا بالاستقلال المالي والإداري في ذات المحيط الأكاديمي حتى لا تجد أى قوة أو سلطة داخلية كانت أم خارجية سبيلها للتدخل في الشئون الجامعية والأكاديمية تحت أي مسمى ولا تمارس ضغطها وقسرها على العمل الأكاديمي ، وفي الوقت نفسه يجب ألا تكون تلك الحرية مطلقة العنان بل يجب تأطيرها بالقيم والمبادئ الأخلاقية والعلمية التي تجعل منها حرية مسئولة .

أما "ديكارت" فقد جعل من الفكر حقيقة يقينية أولية حاول أن يقيم على أساسها سائر الحقائق الأنطولوجية فقال بأن الذات عبارة عن وجود كل ماهيته التفكير وأن الفكر إنما ينحصر في تلك الفاعلية التي يتوقف علينا نحن أن نمارسها فهو ليس شيئًا إلا بهذه الممارسة التي هى صميم وجوده أو هو بالأحرى وجود لابد أن يتحقق حتى يكتسب لنفسه

ماهيته (زكريا إبراهيم ، 1972 : 146-147) ، وهنا يتفق "ديكارت" مع "كانط" في تعظيم قيمة الفكر ويجعل من ممارسة التفكير شرطًا لتحقق الذات ماهيتها وتشعر بوجودها .

أما " جون ستيوارت مل" فيرى أنه لا يصح أن يُكره المرء على فعل شئ أو الإمساك عنه ، فالحرية عنده مبدأ في العدالة يحمي الحرم الداخلي للمصالح البشرية من أضرار وغزوات الإكراه والتحكم ، كما يرسم هذا المبدأ الحدود والقيود المشروعة للإكراه الاجتماعي والسياسي الذي يمكن أن يمارس على الناس ، حيث لايسمح به إلا في حالات إلحاق الضرر بالآخرين ، ويحلل "مل" إلحاق الضرر بالآخرين على أنه انتهاك لحقوق أو واجبات تتعلق بالآخرين ، لذا فإن القواعد الأخلاقية التي تمنع البشر من إلحاق الضرر بعضهم ببعض أكثر حيوية لرفاهية الكائن البشري (وندي دونر ، ورتشارد فمرتون ، 2011: 83 -85) .

ويضيف أن الحرية ضرورة للسعي وراء الحقيقة واكتشافها ، والناس الذين يتطلعون إلى الدفاع عن حرية الفكر وتطبيقها إنما يشقون طريقهم إلى التربية الفكرية ، كما إن الالتزام بروح البحث الحر والخوض في روح التقصي قلب التقدم والتطور في الشؤون البشرية ، ويشير "مل" إلى أن الحرية تتضمن تربية الشخصية الفردية والاستقلالية اللازمة للتنمية الذاتية للقدرات ، فالشخصية الفردية تتضمن تحقيق هوية أصيلة للفرد والاستقلالية هى الضمان لذلك ، فأن تكون مستقلًا هو أن تكون قادرًا على تقرير مصيرك ، ومتحررًا من إرادة الآخرين المسيطرة (وندي دونر ، ورتشارد فمرتون ، 2011: 86 - 91) .

في ضوء هذه الرؤية عن الحرية نجد أن ضغط القوى الخارجية أو السلطات الحاكمة على فكر عضو هيئة التدريس يمكن أن يتخذ شرعيته إذا كان هذا الفكر يؤثر سلبًا على حقوق الآخرين كأن ينشر أفكار وآراء وتوجهات متطرفة غير معتدلة أو أفكار غير ملائمة لثقافة المجتمع ، وعليه فإن عضو هيئة التدريس يجب أن يمارس دوره البحثي والتدريسي وفق قواعد وأخلاقيات وقيم ومبادئ تضمن عدم المساس بحقوق الآخرين كأن يلتزم عضو هيئة التدريس بأخلاقيات البحث العلمي ، أو يراعي الأمانة والموضوعية في تقييم طلابه ويحرص على العدل والمساواة بينهم ويلتزم الموضوعية

الفكرية في توجيههم حتى يستطيع الارتقاء بهم وتنميتهم وهو ما يقود إلى تقدم المجتمع وتطوره .

وعند " ليكيه" فالحرية تعد شرطاً أساسياً للبحث عن الحقيقة وهي أداة ووسيلة للمعرفة فيقول "كيف أخطو خطوة واحدة في سبيل البحث ....، إن لم يكن ذلك بفعل تلك الحركة الحرة حركة فكري نفسه؟، وكيف أجد لنفسي غاية وكيف أتخلى عن سائر عاداتي وأفكاري السابقة بل كيف أحاول أن أصل إلى حالة من الاستقلال الفكري والأمانة العلمية إذا كانت أفكاري تتوالد من تلقاء ذاتها وفقًا لنظام لا أملك من أمره شيئًا؟ " فالحرية لدى "ليكيه" تعني القدرة على التحكم في أفكارنا بحيث نخلع على الأفكار نظامًا خاصًا لا يكون من الضرورة للطبيعة في شئ (زكريا إبراهيم، 1972 : 149) ، وهنا يركز "ليكيه " على الاستقلال الفكري للباحث فهي غايته المنشودة وهى شرط الوصول الى حالة التمتع بالفكر الحر ليتمكن من تجديد أفكاره بشرط أن يمتلك الباحث ذاته سيادته على أفكاره .

باستقراء الآراء الفلسفية السابقة ومقارنتها بمضمون الفكر التربوي الإسلامي يتضح أنها تفتقر إلى نظرة فلسفية وتربوية شاملة لجوانب قضية الحرية الأكاديمية فمنها ما أكد على أن جدوى الفكر لن تتحقق إلا بالحركة الحرة لهذا الفكر بدءًا من الإرادة الحرة للتفكير وحتى الإعلان عن هذا الفكر ونشره بالوسائل المختلفة ، ومنها ما أكد على المبادئ والمعايير الأخلاقية التي يجب أن يتشكل في إطارها السياق الذي يمارس في ضوئه هذا التفكير الحر دون تحديد وتعريف دقيق لتلك المبادئ ، أما الفكر التربوي الإسلامي فيعد في مضمونه معالجة تربوية شاملة لقضية الحرية الأكاديمية بكل جوانبها فقد نظمت الشريعة الإسلامية حرية الفكر والبحث العلمي ووضعت ضوابط ومعايير الممارسة وهو ما سيتم تناوله خلال الدراسة .

ثانياً : مكانة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي :

اهتمت التربية الإسلامية بقضية الحرية الأكاديمية فكانت لها مكانةٌ هامةٌ من الشريعة الإسلامية الغراء وذلك على مستوى النظرية والتطبيق فينظر لتلك الحرية على أنها حرية العقل الإنساني الذي كُرم به بنو آدم عن سائر الخلق ليمارس ما خلق من أجله.

فالإسلام يرتفع بشأن حرية الفكر فيعتبرها فريضة من الفرائض وواجبًا من الواجبات ، وبالتالي الذي يفرط في حريته حتى بإرادته هو آثم ويعاقب(محمد عمارة ، 1992: 17) وحرية العقل في التفكير قد كفلها الإسلام في إطارها الفكري الخالص الذي يتجه إلى أصحاب الفكر وأهل الإختصاص ليحاوروهم ويناقشوهم فيما لديهم من فكر وعقائد وهى مزيجُ بين الحرية والإلتزام فليست مطلقة تفسح المجال للفوضى أن تتحرك في حياة الناس وأفكارهم من دون حماية لهم من عوامل الضلال أو عناصر الضعف ، كما أنها ليست إلتزامًا مطلقًا يغلق عليهم نوافذ التفكير أو يحجر عليهم أن يطلعوا على الأفكار المضادة ، فمن حق الإنسان أن يفكر كما يريد وفيما يريد لأنه مسئول عن ذلك الفكر (محمد حسين ، 1986 : 133) .

وتؤكد التربية الإسلامية دائمًا على احترام عقل الإنسان ودعوته إلى أن يكون هو المعول عليه ، وفي القرآن الكريم تأتي هذه الدعوة متكررة للإعتماد على العقل وتشمل كل وظائفه من الإدراك والفهم والحكمة والتفكير وتحثه دائمًا على طلب العلم والبحث عن الحق والحقيقة (طه علي ، وزينب حسن ، 2003: 17) ، والمتتبع لآيات الذكر الحكيم يجدها حافلة بالدلائل على منح الحرية للعقل في التفكير واستحثاثه على ذلك ومنها :

" وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (سورة آل عمران , آية 191) ، وقوله " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (سورة البقرة, آية 44) ، وقوله تعالى أيضًا " أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى " (سورة الروم , آية 8) ، تعكس هذه الآيات الكريمة مكانة العقل الهامة في التربية الإسلامية ، ودعوته المستمرة للتفكير والتدبر في خلق الله وآياته هى أساس الإيمان بالله وسبيل تحرره من الجمود والركود الفكري .

كما تحرص التربية الإسلامية على إتاحة حرية الفكر في جميع العلوم والمعارف الطبيعية والإنسانية وهو ما يدخل تحت مسمى الحرية العلمية أو الأكاديمية أو حرية التفكير العلمي وهى أن يكون لكل فرد الحق في تقرير ما يراه في صدد ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والإنسان والأخذ بما يهديه إليه تفكيره وما يقتنع بصحته من نظريات والتعبير عن رأيه بمختلف وسائل التعبير ، وهنا نجد أن الإسلام لم يحاول مطلقًا أن يفرض نظرية علمية معينة بصدد أي ظاهرة ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة

لتفاصيل تلك الظواهر ، وإنما استحث العقول على النظر وحفز الناس على التأمل وحب الاستطلاع لاستنباط القوانين العامة لتلك الظواهر ليبين للناس أن هذه الأمور بها مجال كبير للنظرة والبحث العلمي (علي عبد الواحد ، 1986 :79) ، ويأتي هذا في قوله تعالي : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ" (سورة آل عمران , آية 190) .

ولم يكن هناك أي تعارض أو مناقضة بين العلم والدين الإسلامي كما أدعى البعض ، فلا يوجد قيد ديني على مسألة العلوم الطبيعية والمعارف الإنسانية فكانت حرية البحث العلمي مطلقة للعقل في أن يقرر ما توصل إليه من نتائج ، ولم يتدخل الدين إلا فيما ندُر وذلك في المعارف التي لها تأثير مباشر على حركة الإنسان والمجتمع ، وإن حدثت مناقضة فيكون منشأها تدخل البشر باسم الدين للتضييق على العلم كما كانت العلاقة بين العلم والديانة المسيحية في العصور الوسطى كمنظومة ثقافية يقررها البابوات وليست كمنظومة دينية منزلة من رب العالمين ، أما الدين الحقيقي بمعناه الصحيح فلن يكون بينه وبين العلم أي تناقض سواء كان الدين هو الإسلام أم اليهودية أم المسيحية ، ومما يدلل على الحرية الممنوحة للفكر العلمي في الإسلام أن اقطاب العلم والعلوم كانوا من علماء المسلمين والفقهاء والفلاسفة كما أن المنهجيات العلمية الحديثة قد تشكلت في عهد هؤلاء العلماء الذين أبدعوا للبشرية نظريات في شتى المجالات لاتزال مدينة لهم بها كما يعترف بذلك الغرب العلمي المنصف لا الغرب الثقافي المتعصب (مالك مصطفى ، 2002 :121 ـ122)، ومن العلامات المؤكدة على أنه لا يوجد فصل بين العلم والدين أن أغلب الظواهر والحقائق العلمية التي تم التوصل إليها وإثباتها في مجالات علمية مختلفة كانت لها مقدمات وتنبؤات مسبقة واردة في القرآن الكريم .

ومن الدلائل أيضًا أن مفكري المسلمين عندما احتكوا بثقافات وحضارات الأمم الأخرى خاصة تلك التي حفلت بالإبداع الفلسفي والنظرات الفلسفية ذات الرؤية الكلية قبلتها عقولهم وحتى لا تتعارض مع عقيدتهم سعوا للتوفيق بين الدين والفلسفة مما أثمر نتاجًا فلسفيًا ذات صبغة إسلامية (سعيد إسماعيل ، 1991 : 179)

والإسلام بإفساحه المجال للحرية الأكاديمية كان له الدور الأكبر في حمل لواء النهوض الفكري في أوروبا حيث إن نشأة الجامعات في أوروبا الحديثة ارتبطت بالفلسفة الإسلامية ومناهج التعليم في الشرق الإسلامي فخرجت العلوم والمعارف من الكنائس

والأديرة إلى المدارس والجامعات وانتقل العلم من الدين إلى الدنيا ومن علوم الغايات إلى علوم الوسائل وكان ذلك إثر الاحتكاك بالشرق من خلال الغزوات الصليبية والأعمال التجارية ، فعرفت أوروبا نماذج جديدة للعلم موضوعًا ومنهجًا ، وطرقًا للتدريس فقد اعتمدت الفلسفة الإسلامية على الحوار والمناقشة والجدال والبرهان والبحث في كل شيء ولم يكن هناك أسرار أو حرمات دينية أمام العقل فلا سلطان إلا للعقل وحده (حسن حنفي ، 1987 :320) ، وكان هذا هو مضمون المنهج الإسلامي وتلك هى المكانة التي استحقتها الحرية الأكاديمية وهذا هو الاحترام والتقديس الذي ناله العقل المفكر في كنف ذلك الدين القيم الذي وضع له من الضوابط والموازين ما يعينه على أداء وظائفه ليكون مستحقًا للحرية الممنوحة له ويكون على قدر المسئولية المنوطة به وهى صلاحيه نفسه والمجتمع .

ثالثاً : الضوابط والمعايير المنظمة لممارسة الحرية الأكاديمية من منظور الفكر التربوي الإسلامي:

من أهم خصائص التربية الإسلامية أنها تربية عقلية ، والعقل في الإسلام احتل مكانًا هامًا قل أن نجد له نظيرًا في غيره من الشرائع فهو أساس التكليف والاختيار والحساب ، وقد أُعتبرت المعرفة والعلم غذاء للعقل والتفكير وظيفة له (محمد منير ، 2009 : 121)، ويترتب على هذا التميز الذي ناله العقل الإنساني أن أمر المولى عز وجل بحفظ حقه في التفكير والتعبير مادام ذلك في حدود الشرع ومصلحة الجماعة ، لا يُقهر على أمر ، ولا يقسر على رأي ، ولا يمنع من إبداء رأيه والاجتهاد فيه لأن هذا قوام نموه العقلي واتساع مداركه (أحمد كامل ، 2018 :77) .

ويؤكد (مالك مصطفى) أن إطلاق حرية الفكر يعد غريزة مفطور عليها الإنسان وشأن الغرائز دائماً جذب المرء نحوها لذا لو خلي الإنسان وهواه لفضل الحرية المطلقة لرفض أي سلطة تحد من حريته تكوينية كانت تلك السلطة أو تشريعية دينية كانت أو دنيوية ، ولنظر لهذه الحرية بما سنحت له قريحته من أفكار وآراء ملبسًا هواه لباس الفكر ومن الطبيعي أن تدفعه تلك الغريزة من التفلت من أي قيد سواء على مستوى السلوك أم التعبير والاعتقاد والتفكير (مالك مصطفى ، 2002: 19) ، وبذلك قد تتحول الحرية إلى فوضى ولتجنب ذلك ينبغي الالتزام بالتربية العقلية الصحيحة التي تقوم على

التوازن والوسطية في مقدار الحرية المتاحة أمام الفرد فلا تكون مطلقة تمامًا إلى درجة المغالاة والانحراف في التفكير، ولا تكون مقيدة كل القيد بما يؤدي إلى الجمود الفكري .

لذا فالحرية العلمية في كل ميادين المعرفة مشروعة ومكفولة على أساس العبودية لله تعالى والإيمان به وتوحيده وأن الله هو الحق المطلق ومصدر كل الحقوق ومشرعها ، وإطلاق تلك الحرية وفق منظور الفكر التربوي الإسلامي الذي يتضمن تزكية العقل والنفس يحرر العقل الإنساني من قيد العبودية للنفس والشهوات والأصنام الفكرية ، أما إطلاق حرية الشهوات والنزوات الفكرية الذي يعتبره المغتربون جزءًا من هذه الحرية ما هو إلا تركيز لحالة العبودية للنفس والعبث وهو صناعة غربية (علي المؤمن ، 2000 :43) ، والإسلام له رؤيته الخاصة في تلك القضية حيث يضع حدودًا لممارستها والتعبير عنها ويرفض الحرية المطلقة فلايسمح بأدب خليع ولا بفكر يعادي الغيب والتوحيد أو يشكك في أساسيات الدين بدعوى العقل أو العلم (أحمد عرفات ، 2009: 113) .

وفقًا لما تقدم يمكن إجمال الضوابط والمعايير التي تنظم ممارسة الحرية الأكاديمية وفق منظور الفكر التربوي الإسلامي فيما يلي :

1. **عدم المساس بالمقدسات والغيبيات** :

من البديهيات التي لا يختلف عليها أهل العقل والعلم أن المقيد لا يدرك كنه المطلق ولا يحيد بحقيقته وهو ما يتطلب من الباحث ألا يحاول البحث في الذات العلية ذات الله سبحانه وتعالى فحقيقتها فوق طاقة أدوات المعرفة في الإنسان فهو لا تدركه الأبصار وذلك في قوله تعالى " لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (سورة الانعام , آية 103) وفي المقابل فالباحث موجه الى البحث فيما يمكنه أن يثمر فيه وهو آيات الله (ناصر دسوقي ، 2014 : 39) ، لذلك اهتمت التربية الإسلامية بتوجيه الطاقة العقلية للفرد من خلال تحديد مجال النظر العقلي لتحميه من تبديد طاقته وقدراته في الغيبيات ، وتدريب طاقته العقلية على الاستدلال والتفكير والتأمل في حكم الله وتدبيره (ماهر إسماعيل ، 2018: 20 ـ 21) وقد فتحت التربية الإسلامية باب الحرية الفكرية والعلمية على مصراعيه إلا في ذات الله وما يؤدي إلى الكفر بإنكار أصل من الأصول الدينية المعلومة بالضرورة كالإيمان بالله وما ورد من عقائد بالكتاب والسنة ، وما دون ذلك فلا قيد عليه فكل المخلوقات محل للفكر والبحث والتدبر (عبد الحكيم حسن ، 1983 : 442) .

وقد كفل الإسلام حرية البحث العلمي لأهل العلم في شتى المجالات إلا فيما يعد تشريعًا للبشر سنة ومنهاجًا ، أما ما ورد عن النبي إرشادًا لا تشريعًا فيما يتعلق بالأمور الدنيوية والمعاشية فيجوز البحث العلمي فيه كشؤون الزراعة والتجارة والصناعات والاختراعات فهى متروكة إلى معارف الناس وتجاربهم (عاصم حمد ، 1990 : 61) ، لذا عندما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم تأبير النخل أي عدم تلقيحه فخرج ثمره رديئًا وراجعوه أصحابه في ذلك فقال لهم " أنتم أعلم بأمور دنياكم" (أبو الحسن مسلم ، 2006: 1110) ، وفى هذا يقول الطاهر بن عاشور :" وأما حرية الأقوال فهى التصريح بالرأي والإعتقاد في منطقة الإذن الشرعي " (محمد الحبيب ، 2004 : 131) ، فالحرية الأكاديمية وفق التصور الإسلامي مقيدة بما لا يضر الإنسان نفسه ولاغيره فلا يطلق لعقله العنان في التفكير فيما لا طاقة للعقل به وفيما قد يدخل في عقيدته الشك والتردد ، فالعقل له حدود فلا يقدر على ما لا يتحمله ولا يحيط به إدراكه كالغيبيات وعظيم عجائب خلق الله فقد تحدث شبهات يعجز العقل عن حلها أو يفقد أدوات المعرفة الموصلة لها لذا يقول المولى عز وجل " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " (سورة الاسراء , آية 36) (علي المؤمن ، 2000 :46) ، (عجيل جاسم ، ب ت : 22) .

بهذا الضابط يتم وضع الحرية الأكاديمية في إطارها الشرعي الإسلامي وبمقتضاه تكون تكليف شرعي والتكليف يترتب عليه المسئولية والالتزام بآداب الممارسة والمكلَف هو الإنسان الذي له حريته المحدودة بقدراته في الاستيعاب والادراك مما يصعب عليه تفقه الأمور الغيبية وإلا فما الفرق بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق ؟ فعلم الغيب تختص به قدرة المولى عز وجل وهذا هو المضمون الإسلامي الصحيح للحرية الأكاديمية وهو ما يتناقض مع المضمون الغربي العلماني للحرية القائم على الفصل بين العلم والدين .

2. تجنب التبعية الفكرية والإمعية والتقليد الاعمى :

تهدف التربية الإسلامية إلى تحرير العقل من رواسب الماضي وتدعو إلى عدم تعطيله بالتسليم بالمقلدات الموروثة حديثة كانت أم قديمة ، وتحرير العقل من عيوب التقليد يقتضي اعتماده على اليقين والتثبت لا على الحدس والظن لأن الجوارح مسئولية صاحبها ، كما تهدف لجعل التفكير العلمي أساس كل شيء ، ويضم القرآن الكريم كثيرا من التوجيهات في مجال التشريع والعبادة وشئون الحياة مما يدعو إلى إعمال العقل والتفكير والتدبر(عباس محجوب ، 1987 : 201) ومن تلك التوجيهات قوله تعالى : "

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ " (سورة الزمر ، آية 21) ، وقوله " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " (سورة الرعد ، آية 19) ، وقوله " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ " (سورة الزمر ، آية 18) ، وقد رفض المنهج القرآني التبعية الفكرية والإيحاء الفكري ورفض التقليد الأعمى لأفكار الآباء والسلطة وأنكر على أولئك الذين سلطوا على أنفسهم سلطاناً خارجياً يتبعون ما يريهم من المعتقدات فيفقدون بذلك حريتهم في التفكير جراء هذا السلطان الخارجي الذي حكموه في عقولهم سواء تمثل ذلك في الآباء أو الأجداد أو الكهنة ورجال الدين (عبد المجيد النجار ، 2008: 99) ، والتقليد الذي عناه القرآن الكريم والسنة الشريفة هو عدم استعمال العقل واللجوء لمحاكاة نماذج تفكير الآخرين ، لذلك نجد القرآن ينعى هؤلاء المقلدين ويستنكر جمودهم الفكري بقوله : " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ " (سورة الزخرف , 23 آية) ، وقوله " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " (سورة التوبة , آية 31) وهؤلاء عليهم تحمل مسئولية التفريط في حريتهم وفي ذلك يقول المولى " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " (سورة الاسراء , آية 36) ، وبذلك تضع التربية الإسلامية الحرية الأكاديمية في الاتجاه المنطقي (ماجد عرسان ، 1985 : 45) ، والمصابون بكسل التفكير واسترخاء العقل عصاة في نظر الإسلام تتفاوت معاصيهم بمقدار ما يترتب عليها من اضطراب الصلات الإنسانية مع الله والحياة ، ونعى عليهم هذه الطريقة في الحياة التي تجلهم كالدواب وفي ذلك يقول المولى تعالى " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ " (سورة الأعراف , آية 179) (هاني سليمان ، 2001 : 153-154).

كما حذر القرآن الكريم من الإمعية وهى أن يكون الإنسان تابعًا للناس فيما يقولوه ويفعلوه ولا يكون لديه تحوط فيما يختار ولا استقلال في رأيه وفكره ، والتحذير من الإمعية هو دعوة لأن يكون الإنسان قوي الإرادة عزيز النفس يفكر بعمق ويبحث بدقة ليصل إلى النتائج وينقب في الآراء ويشارك بالأفكار يتبع صاحب الحق لأنه أصاب الحق وينأى عن إتباع غيره إذا هو وقع في الخطأ ولا يتعصب له (سلطان بن عبد الرحمن ، 2013: 428 ـ 429) ، وفي ذلك يحذر الرسول الكريم من أن يكون الفرد عديم التفكير مسلوب الإرادة بقوله " لا تكونوا إمعة ، تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن

وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا " (أبو عيسى محمد ، 1996 : 538) وقد وقف علماء الإسلام وأئمة الدين موقفًا موضوعيًا من قضية التقليد الأعمى فيقول أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ "لا يحل أن يقول بقولنا حتى يدرك من أين قلناه " ويقول مالك ـ رحمه الله ـ " ليس كلما قال رجل قولا وإن كان له فضل يتبع عليه " (ناصر دسوقي ، 2014 :75) ، كما أكد العقاد في مؤلفه " التفكير فريضة إسلامية " على تلك الموانع التي تقف في سبيل العقل وتعوقه عن ممارسة الفكر الحر ويرى أنه إذا كان العمل بالعقل أمر من أوامر الخالق فيمتنع على مخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله أو خوفاً منه وإن كان جمهرة من الخلق ، وأكبر تلك الموانع عبادة السلف التي تسمى بالعرف ، والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية والخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيوية فالإسلام لا يقبل من الباحث المفكر أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده أو خنوعًا لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضى العقل والدين ولا رهبة من بطش الأقوياء (عباس محمود ، ب ت : 18) ، وعلى الرغم من الموقف الواضح للدين الإسلامي ضد أي محاولة للسيطرة على العقل والفكر والتبعية والانصياع والاستسلام الفكري لأي سلطة دنيوية أو دينية مصطنعة ممن يحاولون التضييق أمام الحريات الأكاديمية والبحث العلمي باسم الدين أو التفسير الخاطئ له أو لأغراض أخرى سياسية إلا أن تلك الحريات في جامعتنا العربية لا تزال تعاني من أزمة حقيقية في البحث العلمي والتدريس .

فهناك جملة من المحظورات الثقافية وخاصة في مجال العلوم الإجتماعية والإنسانيات والتي تجئ تحت اسم الدين والأخلاق والعادات والأعراف والتقاليد حيث تحرم تلك المحظورات الولوج إلى أي موضوعات ماسة بحريات المواطن وحقوقه السياسية أو الإجتماعية حيث تحمل خلاف فكري وسياسي وفلسفي حاد الصرامة ، وإذا تجرأ باحث على الخوض في تلك المسائل التي أضفى عليها التقديس بهتانًا وزورًا فإنه قد يفقد وظيفته أو مكانته أو حريته ، فمن المفترض أن حرية البحث العلمي كاملة لا تقف أمامها أي موضوعات طالما أنها تُبحث بمنهج علمي وموضوعي (عبد القادر الشيخلي ، 2001 : 35 -36).

فالتفكير المنطقي السليم هو نتاج الحرية الأكاديمية الإيجابية التي يتمتع فيها الفرد بحرية إرادة التفكير واختيار الفكرة وتحمل مسئوليتها ، وليست الحرية السلبية التي

يضع فيها الإنسان لنفسه نماذج فكرية معينة يخير نفسه بينها أو يفرض على نفسه نموذجًا خاصاً ، وهذا جزء من الإعاقة الفكرية التي يمارسها الإنسان ضد نفسه والآخرين (علي المؤمن ، 2000 : 50) ، ويترتب على تجنب الباحث للتبعية الفكرية في الأنشطة البحثية والتدريسية المرونة الفكرية والانطلاق الفكري والابداع والتجديد العلمي .

فالباحث المبدع هو من يتعامل مع الآراء والأفكار بروح غير متصلبة ويتراجع عن الأفكار القديمة أو حتى الجديدة إذا أوصله البحث إلى ضعف حجيتها وهنا يجمع بين الأصالة والتجديد في البحث العلمي، ويعد ذلك استجابة وتوافقًا مع الاتجاهات التربوية الحديثة التي تنادي بضرورة تحول الجامعات العربية من جامعات مستهلكة لمنتجات الآخرين الفكرية إلى جامعات منتجة ومصنع يحقق الاكتفاء الذاتي من خلال الفعل الخلاق والنشاط العلمي المبدع (مصطفى نمر ، 2008 : 134 ـ 135) ، كما أن تمتع الباحث بحريته الفكرية والعلمية في أدائه للبحث العلمي يؤدى إلى انتشار المعرفة حيث يتمكن من الوصول إلى الأفكار العلمية الجديدة والمشكلات المتجددة كما تعمل على خلق الابداع في البحث العلمي (Resink.David B , 2005 : 54) .

والتزام الأكاديمي بهذا المعيار في عمله سواء في اختيار موضوعات بحوثه أو تدريسه وأداء بحوثه ومناقشة نتائجها ومناقشاته مع طلابه يجنبه التعرض لآفة التطرف الفكري والتعصب الأعمي ويحميه من التبعية الثقافية وقيامه بتوجيه فكر طلابه وتزييف وعيهم جراء الخضوع والاستسلام لفكر أو توجه بعينه، ويجعله يتحسس باستمرار الموضوعية والمنطق والحيادية فيما يقوم به من نشاط أكاديمي.

3. الموضوعية والتجرد عن الهوى :

تسعى التربية الإسلامية إلى تدريب الباحثين وطلاب العلم على التفكير الموضوعي المنزه عن الميول والأهواء الذاتية ، ويعد ذلك تطبيقًا لما حفل به القرآن الكريم من توجيهات متكررة للحث على التفكير العلمي الموضوعي وعدم اتباع الظن والتنديد بأهله ويتضح ذلك في قوله تعالى " إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا" (سورة النجم : آية 28) كما يدعو إلى عدم التسرع في إصدار الأحكام قبل استكمال المعلومات اللازمة والتعرف على الحقيقة كاملة والتثبت في كل أمر قبل إصدار الحكم عليه بالقبول أو الرفض ، وتؤكد ذلك الآية الكريمة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ

فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (سورة الحجرات، آية 6) (ماجد عرسان ، 1988 : 67) .

والموضوعية مضمونها أن يكون لدى الباحث الاستعداد والقدرة على فحص الأدلة والحقائق للوصول إلى النتائج بدون أي تحيز ، فأحكامه يجب أن تتجرد من معتقداته الخاصة وأهوائه الشخصية وآماله الذاتية وما يحب وما يكره (Gadwal A.A, 2019 :50) ، وقد نهى القرآن الكريم الباحث العاقل عن الخضوع للهوى بشعبه المختلفة سواء تمثل ذلك في الميل إلى شهوات النفس أو متابعة عواطف الحب والكره فيما تسوق إليه من جور أو التعصب الأعمى لفكرة او لعرق فكل ذلك من شأنه أن يكبل حرية الباحث في بحثه عن الحقيقة ويهدر منهجه المنطقي في ذلك البحث ويوجهه في وجهة ما رسمه الهوى ، وفي ذلك يقول الله تعالى " فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ " (سورة ص ، آية 26) ، وقوله " فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا " (سورة النساء , آية 135)، وهنا تشريع بوجوب تحرير الفكر من سيطرة الهوى ليتعامل مع القضايا المبحوث فيها بموضوعية توصل إلى الحق وتعصم من الضلال حتى لا يقع تحت سلطان الأهواء الذاتية التي تقيد حركته الحرة فيتجه نحو اعتقاد ما تفتضيه أهواءه لا ما يقتضيه العقل والمنطق (عبد المجيد النجار ، 2008 : 196) ، ويقول بن حزم :" وطالب الحق لا يصح أن يعميه التعصب لقوله عن التماسه حيث يكون ، وهو في إخلاصه للحق لا ينبغي إلا نصر الحق المجرد ، وهو مستعد لترك قوله هو إلى قول غيره إن رأي عند غيره الحق السائغ الذي لا يشوبه باطل " (قدري حافظ ، 2002 : 157) .

يتضح مما سبق أن سيطرة الخصائص الذاتية للباحث من معتقدات، وأفكار، وميول، وأهواء، ومشاعر انفعالية أثناء بحثه وتدريسه قد تجعله يصل إلى نتائج وينشر مفاهيم تتفق مع أهوائه الخاصة حتى وإن كانت تلك النتائج غير صحيحة وغير متفقة مع الواقع.

وفي هذا الشأن قسم الفقهاء العلوم إلى صنفين : أولهما العلم المباح وهو ما كان محمودًا من العلوم وهو الباعث على العمل الذي لا يدع صاحبه جاريًا على هواه كيفما كان ، وثانيهما العلم المذموم وهو ما كان مخالفًا للشرع والدين والحق وهو جهل وليس علم حيث يؤتي لصاحبه الضرر كبعض علوم السحر والشعوذة أو يكون علم مما لا يفيد الخائض فيه(عبد الحكيم حسن ، 1983 :457 -459) ، وفيه يقول الرسول الكريم "

أعوذ بالله من علم لا ينفع" (أبو الحسن مسلم ، 2006 : 1250) ، وقد حرص علماء الإسلام على تطبيق الموضوعية وتحريها في أبحاثهم فهذا الحسن بن الهيثم يقول : يبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزيئات .... ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب مع انتقاء المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ونجعل أغراضنا في جميع ما نستقرؤه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننقده طلبًا للحق لا للميل مع الأهواء (محمود أحمد ، 2018 : 182) .

وتوافقًا مع هذا المبدأ الذي أقرته الشريعة الإسلامية فإن التربية توجب على طالب العلم أن يميز بين اختياراته العلمية والدراسية وبين مشاعره الوجدانية والذاتية تجاه تلك الاختيارات حيث ينبغي أن يبني أحكامه التي يتوصل إليها على أساس من الموضوعية وعدم التحيز وأن الاستجابات الانفعالية هى حقيقة واقعة لكن يجب أن تكون في الإطار الخاص باستخداماتها وتكون أكثر مصاقية إذا قامت على أساس التعقل والتفكير المنطقي (محمد منير ، 2009 : 104) .

وفي إطار دعوة التربية الإسلامية للبعد عن الذاتية والتحيز الفكري والاستسلام للأهواء الشخصية فالباحث عليه الالتزام بالحيادية والموضوعية في أبحاثه وتفسير ما يصل إليه من نتائج دون تعصب لفكر معين وكذلك الموضوعية في مناقشاته أمام طلابه وألا يحملها غير ما تحتمل حتى لا يكون مزيفًا للحقائق ومزيفًا لوعي وثقافة من ينهل منه علمًا أو معرفة .

4. الاستقامة والأمانة والنزاهة العلمية :

إن المنهج العلمي العقلي الذي عرفته البشرية حديثًا قد ميزه الإسلام باستقامة القلب ومراقبة الله فالتثبت والتحقق من كل كلمة وظاهرة وحركة قبل الحكم عليها هو أساس دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق ، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يتبق مجال للوهم أو الخرافة في عالم العقيدة ولم يتبق مجال للظن في عالم الحكم والقضاء ولا مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم (سيد قطب ، 2003 : 2227).

والأمانة العلمية لدى الباحث تتضح أثناء قيامه بالتثبت والتحقق فيما يعرض عليه من أفكار وآراء ومعلومات فيُجري عليها عمليات الفحص ، والتدقيق ، والتحليل ، والنقد وغيرها من الاجراءات العلمية حتى يصل إلى درجة اليقين ويعلن عما توصل إليه من نتائج تتميز بأنها أكثر مصداقية وتعبر عن أمانة الباحث ونزاهته .

ومن أدل مظاهر الأمانة العلمية عند علماء المسلمين ذكر المصدر المنقول منه والكلام المنقول بكل دقة وأمانة ، كما أن الباحث إذا بحث أمرًا كان له فيه وجهة نظر معينة وهناك من الباحثين من يخالفه في الرأي فعليه أن يذكر الرأي المخالف وأدلته بكل موضوعية ثم يرد عليها بنزاهة ودون تعصب ، كما أنه إذا قام أحد العلماء بإلقاء محاضرة من كتاب غيره فعليه أن يحصل أولاً على إجازة من مؤلف الكتاب ، ولم يكن لأحد أن يأخذ آراء أستاذه ويلقيها دون إذن صاحب الرأي وبذلك كان حق المؤلف مرعيًا ومقدسًا وهو ما ورثته الجامعات الغربية من المدارس العربية العليا (ناصر دسوقي ، 2014 : 141) .

والأمانة العلمية كملمح هام من ملامح المنهج الإسلامي في البحث العلمي تستوجب على الباحث المسلم أن يأخذ ما كان موافقًا للحق من أي مصدر كان ويحذر مما يخالفه وعلى هذا النهج سار علماء الإسلام في أبحاثهم وضربوا أروع الامثلة ، ففي قضية التثبت من صحة المصدر المنقول عنه كان لعلماء الحديث النصيب الأوفر في الإهتمام بالتوثيق ونسبة النصوص إلى مصادرها الأولى (ناصر دسوقي ، 2014 : 121) ، ويقول بن رشد فيما ينبغي أن تكون طريقة التعامل فيما وصل إلينا من أقوال السابقين : " ننظر في هذا الذي قالوه وما اثبتوه في كتبهم فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم ، وعلينا ان نستعين على ما نحن بسبيله مما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان هذا التعبير مشاركا لنا في الملة او غير مشارك إذا كانت فيه شروط الصحة " (أنور الجندي ، 1986 : 24)، ويأتي الشافعي الذي عُرف بفيلسوف الاجتهاد في الإسلام ليضع شروط الاجتهاد ومنها قوله : ولا يعجل بالقول دون التثبت ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لانه قد ينتبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبت فيما اعتقد من الصواب وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما ترك (أبو المزايا محمد إبراهيم ، 2004 :40) ، وفي التحقق من صدق النتائج

يقول جابر بن حيان " قد عملته بيدي وبعقلي من قبل وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب " (طه عبد المقصود ، 2004: 417) .

يعكس ما سبق مدى حرص علماء المسلمين على ضرورة التحقق والتثبت فيما يصدر عنهم من قول أو فعل وما يعلنوه من نتائج مما يؤكد ضرورة امتثال الباحث للأمانة العلمية في عمله الأكاديمي ، ويترتب على مراعاته لأخلاقيات البحث العلمي والأمانة العلمية فيما يصدر عنه من عمل أكاديمي بالقول أو بالفعل عوائد تربوية هامة على منظومة العمل الأكاديمي.

فإن التزام الباحث بالأمانة العلمية والمصداقية يقود إلى دراسة واعية ومتعمقة للعديد مما يواجه المجتمع والدولة من مشاكل وهو ما يدعو إلى الاهتمام بتربية باحثين على درجة عالية من معايير الصدق والأمانة والأصالة فيما يقومون به وأن يتحروا الأمانة فيما يتوصلون إليه من حقائق وأفكار وتجنب التلفيق المتعمد للبيانات وتوخي الدقة والموضوعية (غالب عبد المعطي ، 2011: 41ـ 49) ، كما أن التحقق والتثبت في كل ما يقدمه من نتائج بحوث وآراء وأفكار يضفي على عمله المزيد من المصداقية والموضوعية ويجعله دائماً على قدر المسئولية والمساءلة عن كل ما يكتبه وينشره وبذلك يفى بواجباته الأخلاقية والأكاديمية تحت مظلة الحرية ويصبح مؤهلاً للمطالبة بكافة حقوقه في إطار نفس الحرية من بحث ونشر نتائج وتدريس وتعبير عن الرأي ومشاركة في صنع القرار .

وبهذا المنهج القرآني وبهذه الضوابط يكون الفكر التربوي الإسلامي قد وضع الحرية الأكاديمية والبحث العلمي في الاتجاه السليم والمنطق الصحيح فليس فيها أوهام وخرافات وليس فيها جمود ولا تقليد وإنما هي دعوة لتكريم العقل الإنساني وتحريره من رمقة البلادة والخمول وتنبيهه إلى أداء مهمته في البحث والتفكير وإذا كان هناك من لايزال جاهلاً لا يعرف كيف يفكر ويلبي نداء عقله فعلى عاتقه وحده تقع المسئولية فهو كفرد يظل في أدنى درجات سلم الإنسانية لأنه قصر في حق نفسه وفي أداء واجبه (هاني سليمان ، 2001 : 156).

لذا يجب أن يكون هناك التزامًا كافيًا من قبل الباحثين بأخلاقيات البحث العلمي التي حث عليه الإسلام في كتابه وسنته ، وما جاء فيها من مبادئ وضوابط ومعايير ،

وما أخذ عن السلف وهو ما يدعو للعودة إلى أصول الدين الإسلامي والتمسك بمبادئه وتعاليمه .

رابعاً: الوسائل المعززة لممارسة الحرية الأكاديمية والشواهدالدالةعليها في الفكر التربوي الإسلامي :

أولت التربية الإسلامية عناية كبيرة بحرية البحث العلمي والتفكير الحر أو ما يعرف بالحرية العلمية والأكاديمية ، ومرجع تلك العناية هو الاهتمام بتحرير عقل الإنسان من الجمود والركود والتخلف والتبعية ، واحترام إنسانيته واستحثاثه الدائم على البحث والتفكير والتدبر ليتمكن من أداء مهمة الخلافة الإنسانية على الأرض ، والمستقرئ للفكر التربوي الإسلامي يجده حافلاً بأروع الامثلة والشواهد الدالة على أن ممارسة الحرية الأكاديمية والبحث العلمي ، وحرية التفكير حق متأصل في الشريعة الإسلامية السمحاء وخاصة في فترة صدر الإسلام ، وتؤكد تلك الشواهد أن الحرية الأكاديمية ليست مجرد تقليد ثقافي أو فكرة مستقاة من الفكر التربوي الغربي كما يزعم دعاة التغريب الثقافي ، فقد حفل القرآن الكريم والسنة الشريفة وسيرة النبي وسلفه الصالح من الصحابة والتابعين بالعديد من المظاهر والأدلة على التأصيل الإسلامي للحرية الأكاديمية والتي ينعكس من خلالها طبيعة الدور الذي يقوم به الإسلام تجاه تلك الحرية ، ويمكن طرح ذلك فيما يلي :

1. إطلاق حرية التعبير عن الرأي :

يعد التعبير عن الرأي بوابة العبور للفكر من الذات الإنسانية للآخر وهو ما يحقق للذات ماهيتها وللفكر جدواه فقيمة الفكر تتحقق حال نشره والإعلان عنه والدعوة إليه وبدون الإفصاح تظل الأفكار حبيسة أربابها وكأنها لم تولد بعد .

ويتميز الفكر التربوي الإسلامي بالتسامح والحرية في تعامله مع حق التعبير عن الرأي حيث تظهر أصالة هذا الفكر في معاودة البحث وصولاً للحقيقة وهذا لايتحقق إلا عن طريق سعة الصدر والتسامح وعدم الإقلال من الفكر الآخر بل الإصغاء إليه والرد عليه سلبًا أو إيجابًا بحيث يُقنع أو يقتنع ويسأل ويجيب في حوار فكري متسامح (لطفي بركات ، 1982 : 26) ، وإحقاقًا لهذا المضمون ينظر لحرية التعبير عن الرأي على أنها مبدأ هام في التربية وحق من حقوق الإنسان وهو يشير إلى حق المرء في التفكير دون قيد أو شرط وأن يعبر عما يمليه عليه فكره من سلوك وعقائد ، ولكنه مقيد بأحكام النظام العام

وعدم الاعتداء على حريات الآخرين (لمياء أيمن ، 2018 : 66) ، وقد منح الإسلام الإنسان الحق في التفكير والتعبير عن رأيه والحكم على الأشياء بالصواب أو بالخطأ وهذا الحق ليس مقصورًا على فئة خاصة بل من حق كل فرد أن يقول أو يكتب ما يراه صوابًا بعد أن يثبت منه ويقدم البرهان والحجة على صحته ، وممارسة هذا الحق يؤدي بصاحبه إلى الهداية والاقتناع بحيث تلزم صاحبها تبعة أفعاله وتصرفاته فيكون مسئول عن تلك الأفعال مسئولية تامة دون خوف أو رهبة (محمد حسين ، 1986 : 142 ـ 144) ، وفي هذا الصدد يقول بن عاشور : في ظل حرية العلم والتعليم والتأليف أينعت حضارة الإسلام فأبدى الناس آراءهم ، ونشروا فتاواهم ومذاهبهم ، ونقلوا إلى عامة الناس تجاربهم وعلومهم ولم يكن في ذلك موجب لمناوأة أو عداء (محمد الحبيب ، 2004 : 132) .

ولم تطلق تلك الحرية دون قيد أو ضابط بل وجب في ممارستها عدم الإساءة للغير سواء بالسب أو التحقير أو الاستهزاء وتجنب ترويج الضلالات وقول الزور والاعتداء على الكرامة الإنسانية والعبث بأعراض الناس كما وجب الالتزام بالموضوعية وعدم القفز على الحقائق وعدم الاضرار بأحد أو الاخلال بالنظام فهى مقيدة بما يجلب المصالح المشروعة على المجتمع ويدرأ المفاسد عنه (يحيى رضا ، 2013 : 148 ـ 152) .

وقد أولى الإسلام عناية كبيرة بحرية الرأي فكانت وسيلته في نشر الدعوة وقد كفلها للجميع بل كفل للناس حق مناقشة الرسول الرأي ومجادلته فيه ، فقد أعلن الفارسي رأيه بحفر الخندق في غزوة الأحزاب حول المدينة لحمايتها وسُر النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرأي وعمل به ، وناقشت إمرأة أوس بن ثابت النبي الكريم في ظهار زوجها لها ومجادلته حتى نزلت في ذلك سورة من القرآن تسجل لهذه الواقعة وهى سورة المجالة " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " (سورة المجادلة ، آية 1) ، وكانت لحرية الرأي في الإسلام صورة لامعة إذ جرى النبي صلى الله عليه وسلم على تدريب المسلمين على ممارستها فكان يسألهم الرأي في الشئون العامة والخاصة وكانوا يعلنون له رأيهم ولو خالف رأيه الشريف (عبد الحكيم حسن ، 1983 : 468 ـ472) ، كما أفسح الإسلام المجال للحوار مع أصحاب الأفكار المضادة له داعيًا إياهم للحوار الجاد في جو من الحرية والنزاهة وهذا التحدي قد حملته

آية صريحة في الكتاب الكريم " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة , آية 111) ، وفي ظل هذه الحياة الفكرية الحرة التي أوجدتها مثالية الإسلام وجدت كل الأفكار سبيلها إلى التحاور والنضج والنمو وأصبح طلب العلم فريضة وحق وأصبح للبحث العلمي شأن عظيم " قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ " (سورة يونس , آية 101) فالإسلام لم يفرض على حرية التفكير قيدًا من خارجها المهم ألا تنقض الحرية نفسها فتغدو سبيلاً إلى مصادرة حرية الغير (راشد الغنوشي ، 1993 : 53) .

وقد سار الخلفاء الراشدون ومن كان على نهجهم من أمراء المسلمين على تشجيع حرية الرأي وقبول النصيحة ، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه بعد أن تمت له البيعة يقول :" أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدقت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، وإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم " (هاني سليمان ، 2001 :185) ، كما كانت حرية الرأي مكفولة للفكر والمعتقد فكان عمر بن عبد العزيز يناقش الخوارج ويستمع إلى أرآهم في معتقداتهم المذهبية (محمد أسعد ، 2014 : 42) ، وفي المدارس الإسلامية كان من حق المدرس إعداد دروسه والكتابة في الموضوع الذي يريد وينقله لطلابه دون تدخل وينشره بين الناس حتى أن بعض المؤرخين أجمعوا على أن جميع المقالات والكتب كانت تداول بين الناس بدون حظر ولا نقص في شيء مما كتب صاحب الكتاب (محمد عبده ، 2011 : 103) ، وكانت له ايضا حرية توجيه طلابه بالشكل الذي يريد مالم يخالف روح الشريعة والتقاليد الإسلامية (محمد أسعد ، 2014 : 113) ، وفي المجال العلمي كانت حرية الرأي والتعبير عنها مكفوله فمن حق كل إنسان تقرير ما يراه بصدد الظواهر الطبيعية والفلكية وفي شئون النبات والإنسان والحيوان ويضع ما يهتدي إليه من نظريات ويعبر عن ذلك بكافة الوسائل ، وقد حث الإسلام على ذلك فلم توجد هناك قيود ـ كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية ـ لفرض نظرية معينة بل ركز القرآن الكريم على حث العقول للتأمل والتفكر والتدبر في خلق الله للخروج بالمعارف (عاصم حمد ، 1990: 22) ، وكان من نتيجة هذه الحرية أن سلك العلماء والمفكرون السبل التي يريدونها وطرقوا الدراسات التي يرغبونها لا يقف أمامهم الإسلام أو الدولة وأدى هذا إلى ازدهار العلوم والثقافة وامتلاء المكتبة الإسلامية بالذخائر الثقافية المختلفة من شتى العلوم والفنون في الفلسفة

والمنطق والفقه والطب والفلك والهندسة ...وغيرها مما كان أساسا في النهضة الإنسانية الحديثة (هاني سليمان ، 2001 : 187).

وفي ضوء حرية الرأي التي أقرها الدين الإسلامي في كل المجالات فإن عضو هيئة التدريس من حقه التمتع بممارسة حقه في التعبير عن رأيه في كل أنشطته الأكاديمية وهو ما يترتب عليه جملة من الآثار التربوية الهامة .

ممارسة حق التعبير عن الرأي يعمل على إتاحة نقل المعارف والأفكار وإيجاد الحلول العلمية لما يواجه مجتمعنا من مشكلات وتحديات في مختلف المجالات العلمية والتربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية (نظام عساف ، 2012: 404) ، كما تسهم تلك الحرية في خلق نسق ديمقراطي داخل الجامعة حيث تنمية قيم الديمقراطية والحوار لدى الأساتذة والطلاب وهو ما يحتاج إلى مناخ ديمقراطي مناسب وممارسة فعلية (عبد الواحد حميد ، 2012 : 63) ، ويعد ذلك المناخ الديمقراطي حاجة تربوية ملحة بل والأكثر أهمية ففي ظله ينمو الفكر وتزدهر الثقافة وتبرز المواهب وتزول العقبات التي تحول دون انتشار النشاط العلمي والبحث الحر ، كما تنعكس تلك الممارسات الديمقراطية التي يتمتع بها عضو هيئة التدريس على شخصية الطالب الجامعي فيمارس حقه في التعبير عن نفسه والتفكير وممارسة الأنشطة ومناقشة أساتذته وزملائه حتي يتشكل وعيه وتنمو شخصيته ويتحقق مسعى التربية (علي عبد الرحيم ، 2019 : 128 ـ 130) .

يستدل مما سبق من شواهد على قدر المساحة والحرية المتاحة أمام الفرد في التعبير عن رأيه أيًا كان في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والأكاديمية تلك الحرية التي تعد جزء لا يتجزأ من عمل الفرد الأكاديمي حيث إن حريته الأكاديمية لن تكتمل إلا بالتعبير عما لديه من آراء وأفكار وما يتوصل إليه من نتائج من خلال بحوثه وقراءاته وأنشطته العلمية المختلفة ليتمكن من أداء دوره المنوط به من نشر العلم والمعرفة وتشكيل الوعي فيمن حوله .

2. إطلاق حرية الاجتهاد :

من أهم ملامح التطور في الفكر التربوي الاسلامي هو دعوة التربية الإسلامية إلى الاجتهاد والانفتاح على الآخر وتقبل الاختلاف والانفتاح على القضايا القائمة والمشكلات المتجددة ، فهذا علي بن أبي طالب لم يُقصر المقررات المنهجية على

استظهار آيات القرآن الكريم وتلاوته إنما دعا إلى إعمال العقل في الأُطر التي رسمها القرآن ، أما عبدالله بن مسعود فرأى أن الناس في زمن البعثة النبوية لم يكونوا في حاجة إلى بذل جهد عقلي إزاء القضايا والمشكلات التي كان الوحي يعالجها ولكن عندما استجدت مشكلات لم يجد الناس حلولاً مباشرة لها في المنهج القرآني وجب عليهم إعمال العقل والاجتهاد بالرأي (ماجد عرسان ، 1985 : 82) ، وعليه فمن حق الباحث في مجاله الأكاديمي أن يجتهد ويقدم نتائج اجتهاداته بجرأة وشجاعة ودون أن يتوقع أن يواجه بلوم لائم أو تعنيف متعصب فمن لا يتفق معه في الرأي عليه مواجهته بالحجة العقلية والدليل العلمي (عبد القادر الشيخلي ، 2001: 49) ، ومن حرية البحث العلمي تقرير الاجتهاد فيه وهكذا أطلق الإسلام للناس عنان التفكير حتى يصلوا إلى الحقيقة ولا يكون ذلك إلا بالنظر والبحث في الأمور والوقائع ويشترط في المجتهد برأيه أن يكون على علم ومعرفة ودراية وافية بالموضوع محل الاجتهاد ، وبالنظر في نصوص القرآن وأحكام السنة المطهرة وجدناها تتضمن إما وقائع عامة للتشريع أو أحكام خاصة بالأعمال والوقائع والأحكام الخاصة منها ما هو قطعي الرواية والدلالة وهذا لا مجال فيه للاجتهاد ومنها ما هو غير قطعي يجتهد فيه من يناط به التنفيذ (عبد الحكيم حسن ، 1983: 462 - 464).

والمستقرئ لمضمون الفكر التربوي الإسلامي يستنبط دلائل هامة على إقرار الاجتهاد بالرأي وإعمال العقل ، فقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الاجتهاد فقال لهم " إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشئ من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا امرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر " (أبو الحسن مسلم ، 2006 : 1109) ، والاجتهاد يحتمل الصواب والخطأ من الأنبياء ولكن لا يقرهم الله على الخطأ بل يبين لهم الصواب فقد اجتهد النبي فأذن لبعض المسلمين بالتخلف عن غزوة تبوك فعاتبه الله بقوله " عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ....." (سورة التوبة ،آية 43)، وهذا علي بن ابي طالب عندما سأله عبد الرحمن بن عوف ليبايعه بالخلافة قال : أتبايعني على أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين المهديين من بعده ، قال : أعاهدك على أن أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ثم أجتهد رأيي (عبد الحكيم حسن ، 1983 : 463) ، وقد تجلت حرية الاجتهاد في الرأي أكثر ما تجلت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي حيث ثبتت الأحكام الشرعية المنصوص عليها في القرآن والسنة وأصبح من الواجب إعمال

الفكر فيما لم يرد فيه نص خاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ، وكان عمر بن الخطاب أظهر الصحابة في إعمال الفكر والاجتهاد بالرأي حتى أنه كان يجتهد في تعرف الغاية التي نزلت فيه الآية والحديث وذلك في مجال التشريع والتنظيم ، أما في مجال العلوم فقد وصلت حرية الاجتهاد إلى كشوفات علمية عظيمة الجدوى في الفلك والطبيعة والطب فلم يتعرض البحث العلمي لأي لون من الوان التعسف أو الخطر فقد ساهم العباسيون في بغداد والأمويون بالشام والفاطميون بالقاهرة في تقدم العلوم وكانت لهم من العلوم والصنائع والاستكشاف ما استفادت منه أوروبا التي كانت آنذاك توصد كل أبواب النظر أمام المفكرين (هاني سليمان ، 2001: 157) .

وقد تميز فلاسفة العرب عمن سواهم بالاجتهاد العلمي فاعتمدوا في بناء معارفهم على التجربة والدليل وألا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية ما لم تؤيدها التجربة فقد نقل "جوستاف" عن أحد الفلاسفة الأوروبيين أن القاعدة عند العرب هى "جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفًا " وعند الأوروبيين إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي هى " أقرأ من الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن عالمًا " (محمد عبده ، 2011 : 105).

ويعد الاجتهاد من أهم سمات الباحث والمفكر والعالم خاصة في العلوم والمعارف الإنسانية فاجتهاده يعبر عن درايته وإلمامه واستيعابه الجيد لموضوع بحثه ويكون اجتهاده بالإضافة والبحث والتحليل والنقد لما يقدمه من آراء ونتائج وما يستشهد به من إنتاج الآخرين حتى يعد ما يقدمه إنتاجًا علميًا حقيقيًا وليس مجرد نقل وتكرار لما أتى به غيره ، وعليه أن يعي جيدًا أن ما يتوصل إليه هو نفسه محل للنقاش والاجتهاد فليست هناك حقائق مسلمة سوى الأمور القطعية فقط ولكن كل ما يحتمل النقاش والجدال الفكري والعلمي والفلسفي هو قابل للاجتهاد العلمي .

3. فتح المنافذ على المعرفة :

دعت التربية الإسلامية إلى الانفتاح على معارف وثقافات الأمم الأخرى والتفاعل معها والاستفادة منها حيث الأخذ بالمعرفة في شتى صورها وأيا كان مصدرها لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم ، وبين بلد وآخر ، وبين ثقافة وأخرى ، وتنفيذًا لهذا المسلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ، كما أرسل الرسل الى البلاد النائية ليُعلموا ويتعلموا ، وإلى جانب الاهتمام بالعلوم الدينية كعلم القراءات والتفسير

والحديث اشتغل المسلمون أيضًا بالعلوم العقلية فنهلوا من الثقافة اليونانية ، وقد عنى خالد بن يزيد بن معاوية بنقل علوم الطب والكيمياء إلى العربية فدعى جماعة من اليونانيين المقيمين في مصر وطلب إليهم أن ينقلوا له كثيرًا من الكتب اليونانية والقبطية التي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية ، وكذلك عربت الدواوين في عهد عبدالملك بن مروان ، وفي الفلسفة ترجم المسلمون كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية في عهد الرشيد والمأمون واشتغل علماء وفلاسفة المسلمين على تلك الكتب وعملوا على تفسيرها وإصلاح أغلاطها ومن هؤلاء يعقوب بن اسحاق الكندي الذي نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب (عبد الحكيم حسن ، 1983: 454 ـ 456) .

وقد ازدهرت المعرفة والبحث في الممالك الإسلامية الأولى فهؤلاء بني أمية الذين بلغوا مالم تبلغه أمة قط فكانت البراعة في الأدب من علم بوقائع تاريخ العرب وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر وأعلوا منزلة العلماء والشعراء والخطباء واهتموا بالعلوم العقلية والترجمة إلى العربية ، وفي عهد المنصور العباسي صارت بغداد مدينة العلم والمدنية فأنشأ مدارس الطب والتشريع وأنفق على العلوم الفلكية ، وخلفه الرشيد والمأمون في إنشاء المدارس والاهتمام بدور الكتب وتنافس الأمراء في إعلاء مقام العلم والعلماء وبسط الإنفاق على إقامة بيوت العلم (محمد عبده ، 2011 : 101-103) ، كما أوصى هشام بن عبد الملك غلامه سالم الرومي بالتنقيب عن بعض الحكمة اليونانية القديمة وترجمتها للعربية ، وكان الخلفاء والأمراء المهتمون بالنشاط العلمي يقيمون صالونات ثقافية في قصورهم يدعون إليها مشاهير العلماء في كافة فروع العلم والأدب ويستمعون إلى مناظراتهم ويشاركوهم مناقشاتهم (محمد أسعد ، 2014 : 55) .

والمستقرئ لما سبق يستدل على أن المنظور الإسلامي لقضية الحرية الأكاديمية بقطبيه القرآن والسنة لم يوصد أمام المعرفة بابًا ولم يغلق ولم يقيد حرية الفكر في كل صنوف العلم ولم يسعى إلى تكميم الأفواه ، ولم يكبل حرية الرأي والتعبير عنه ، بل أفسح المجال أمام العقل الإنساني وحثه على السعي الدائب نحو كل معرفة واستكشافها والإفادة منها ونشرها وذلك في إطار علمي وأخلاقي .

خلاصة نتائج الدراسة :

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إبراز أهمها في النقاط التالية :

1. كشفت الدراسة عن أن هناك إجماعًا بين الآراء الفلسفية المختلفة حول الحرية الأكاديمية ، من حيث إنها لا يمكن أن تكون مطلقة حتى لا تقوض الحرية نفسها بل محددة بضوابط ومعايير تنظم ممارستها فلا تتحول إلى عبث وفوضى فتجد القوى الضاغطة السياسية والدينية سبيلها للتدخل والتضييق على تلك الحرية ، كما أن الاستقلال الفكري والإداري للمجتمع الأكاديمي يعد مدخلًا هامًا لضمان ممارسة الأكاديميين لحريتهم في البحث والدراسة .
2. أكدت الدراسة على أن الحرية الأكاديمية حق وتكليف شرعي متأصل في جذور الشريعة الإسلامية ولا يمكن التنازل عنه وهو تكليف يتضمن الالتزام والمسئولية والجزاء .
3. وفقا لمبدأ الوسطية في التربية الإسلامية فإن الحرية الأكاديمية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي ليست مطلقة بلا قيد وليست مقيدة تماماً بل أُفسح لها المجال في شتى المجالات وفق ضوابط ومعايير أخلاقية وأكاديمية تحفظ مصلحة الفرد وتحقق الافادة للمجتمع .
4. وفي إطار تربية العقل وتزكيته وتعزيز ممارسة حرية الفكر والحرية الأكاديمية فإن التربية الإسلامية تنهى عن البحث في الأمور التي تفوق القدرات العقلية للإنسان كالغيبيات والمقدسات ، كما تُحذر من التبعية الفكرية والإمعية والتقليد والانصياع الفكري والتدخل في حرية الفكر والبحث باسم الدين أو العرف أو التقليد ، وتنكر على الباحث والمفكر ضيق النظر وجمود الفكر وتلزمه الموضوعية والتحرر عن الهوى بكافة أشكاله ، وكذلك تلزمه امتثال الأمانة العلمية فيما ينقل ويكتب وينشر من أفكار ومعارف وآراء وهو ما يحقق أهم ملامح المنهج الإسلامي في البحث العلمي .
5. كشفت الدراسة عن مجموعة من الوسائل التي أعتمدها الفكر التربوي الإسلامي لتعزيز ممارسة مجالات الحرية الأكاديمية من فكر وبحث وتدريس بين مجتمع الأكاديميين ، ومن أهم تلك المعززات إطلاق حرية التعبير عن الرأي في المجال العلمي وفق ضوابط ومعايير ، وكذلك إطلاق حرية الاجتهاد في موضوعات البحث

والتدريس شريطة التفقه والدراية في الموضوع محل الاجتهاد ، بالإضافة إلى فتح منافذ المعرفة أمام الباحثين والمفكرين .

6. يُبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وشواهد وأدله على تضمين الفكر التربوي الإسلامي على ممارسات فكرية وأكاديمية حرة ومنضبطة على حقيقة مفادها أن حرية الفكر والبحث ليست حكراً لفلسفة أو ثقافة أو مجتمع بعينه ، وأن جذور تلك الحريات أصيلة في الشريعة الإسلامية السمحاء فهي تعبيراً عن رسالة الإسلام وجوهره ومبادئه التي جاءت لتحرير الإنسان من كافة أشكال العبودية إلا عبودية الخالق عز وجل .

وفي إطار ما توصلت إليه الدراسة من نتائج حول المعايير والقواعد الأخلاقية والعلمية الضابطة لممارسة الحرية الأكاديمية فإنها توصي بما يلي :

* إعداد دليل جامعي لكل الباحثين في المجالات العملية والنظرية عن الحرية الأكاديمية بمثابة ميثاق أخلاقي يوضح المعايير والضوابط المنظمة لممارسة الحرية الأكاديمية ، وموضحا أيضًا حقوق وواجبات الباحثين في إطار هذه الحرية .

* تحفيز أعضاء المجتمع الأكاديمي على الإبداع والتجديد والابتكار في الموضوعات البحثية والتدريسية وتجنب الاستمرار في تناول موضوعات مستهلكة بحثيًا .

* الالتزام من قبل أعضاء المجتمع الأكاديمي بثقافة الحوار التربوي بين بعضهم البعض وداخل قاعات التدريس بما يسمح للجميع بالتعبير عن رأيه بحرية دون تخوف ، والاستماع للآخرين واحترام آرائهم .

* الحرص الدائم من الإدارة الجامعية على تغذية المكتبات الجامعية بأحدث وأهم المراجع العلمية في جميع التخصصات وإتاحتها لجميع الباحثين ، وكذلك الاهتمام بتحديث وتطوير قواعد البيانات العلمية الإلكترونية وتفعيلها بحيث تكون في متناول جميع الباحثين بما يعمل على تعدد وتنوع منافذ المعرفة .

المراجع :

أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم ، المجلد الاول ، الرياض ، دار طيبة للنشر ، 2006 .

أبو المزايا محمد إبراهيم بن أحمد : الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2004 .

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي : الجامع الكبير ، المجلد الثالث ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1996.

أحمد عرفات القاضي : قضية الحرية في الفكر الإسلامي الحديث ، فلسفة الحرية . أعمال الندوة الفلسفية السابعة عشرة ، الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة ومركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2009 .

أحمد كامل الرشيدي : التربية الإسلامية ما لها وما عليها ، الجيزة ، المكتبة الأكاديمية ، 2018.

أحمد محمد جاد عبدالرازق : فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي ، الجزء الأول ، الولايات المتحدة الأمريكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995.

أمانويل كانط : ثلاثة نصوص (تأملات في التربية . ما هي الانوار ؟ . ما التوجه في التفكير ؟) ، تعريب محمود بن جماعة ، تونس ، دار محمد علي للنشر ، 2005.

أنور الجندي : شبهات في الفكر الإسلامي، الاتحاد الوطني لطلبة الامارات ، 1984. متاح على http://kotob.has.it

ـــــــــــ : أضواء على الفكر العربي الإسلامي ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1986 .

تيسير بن حسين علي : حرية الارادة في الفكر التربوي الإسلامي ' مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، مج 21 ، ع 2 ، 2009.

جابر عبد الحميد جابر ، وعلاء الدين كفافي : معجم علم النفس والطب النفسي ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1988.

حسن حنفي : العقل والحرية بين فرح أنطون ومحمد عبده سجال "الجامعة"و"المنار"، فلسفة الحرية . أعمال الندوة الفلسفية السابعة عشرة ، بيروت الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة ومركز دراسات الوحدة العربية ، 2009.

ـــــــــــــ : دراسات فلسفية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1987 .

حسن شحاته ، و زينب النجار : معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2003.

ديوبولد فان دالين : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط 4 ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1999.

راشد الغنوشي : الحريات العامة في الدولة الإسلامية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1993.

رالف ن . وين : قاموس جون ديوي للتربية ، ترجمة محمد علي العريان ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين ، 1964.

رضا إبراهيم المليجي : نحو تعليم متميز في القرن الحادي والعشرين . رؤى إستراتيجية ومداخل إصلاحية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ،2011 .

زكريا إبراهيم : مشكلة الحرية ، ط3 ، القاهرة ، مكتبة مصر، 1972 .

سعيد إسماعيل علي : إتجاهات الفكر التربوي الإسلامي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1991 .

سلطان بن عبد الرحمن العميري : فضاءات الحرية . بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها ، ط2 ، القاهرة ، المركز العربي للدراسات الإنسانية ، 2013.

سمير بلكفيف : إيمانويل كانط فيلسوف الكونية ، الرباط ، دار الأمان ، 2011.

سيد قطب إبراهيم : في ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، الاجزاء من 12 : 18 ، ط 32 ، القاهرة ، دار الشروق ، 2003.

طه عبد المقصود عبد الحميد : الحضارة الاسلامية ـ دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية ، الجزء الاول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2004.

طه علي حسين ، وزينب حسن نجم : أساليب تدريس التربية الإسلامية ، عمان ، دار الشروق ، 2003 .

عاصم حمد عجيله ، حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي ، ط 2 ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1990.

عباس محجوب محمود : أصول الفكر التربوي الإسلامي ، بيروت ، دار بن كثير ، 1987 .

عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ، القاهرة ، دار الهلال ، ب ت.

عبد الحكيم حسن العيلي : الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام ـ دراسة مقارنة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1983.

عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1991.

عبد العزيز جاويش : الإسلام دين الفطرة والحرية ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، 2011.

عبد القادر الشيخلي : البحث العلمي بين الحرية والمؤسسية ، عمان ، دار مجدلاوي ، 2001 .

عبد اللطيف بن سعيد الغامدي: حقوق الإنسان في الإسلام ، الرياض ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ، 2000.

عبد المجيد النجار : مراجعات في الفكر الإسلامي ، تونس ، دار الغرب الاسلامي ، 2008.

عبد الواحد حميد الكبيسي وآخرون : أخلاقيات وآداب مهنة التدريس الجامعي ، العراق ، مركز ديبونو لتعليم التفكير ، 2012.

عجيل جاسم الشنمي : حرية الرأي والتعبير في الشريعة الإسلامية ـ التأصيل والضوابط ، مؤتمر "الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة "، مكة المكرمة ، المجتمع الفقهي الإسلامي ب ت .

علاء الدين كاظم عبدالله : حقوق الإنسان والحريات الأكاديمية في التعليم العالي، عمان ، دار غيداء للنشر ، 2012 .

علي المؤمن : الإسلام والتجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر ، بيروت ، دار الروضة ، 2000.

علي عبد الرحيم صالح : ديمقراطية التعليم وإشكالية التسلط والأزمات في المؤسسات الجامعية ، عمان ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، 2019 .

علي عبد الواحد وافي :الحرية في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف، 1986.

علي مفلح محافظة : الحرية الأكاديمية في الجامعات الاردنية ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مج 17 ، ع 190 ، 1994.

عمير بن سفر عمير الغامدي : الحرية الأكاديمية وعلاقتها بالانتاجية البحثية لعضو هيئة التدريس ـ دراسة ميدانية بجامعة أم القرى ، المجلة التربوية ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، عدد (55) ، نوفمبر 2018 .

غالب عبد المعطي الفريجات : ثقافة البحث العلمي ، عمان ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، 2011.

قدري حافظ طوقان : مقام العقل عند العرب ، بيروت ، دار القدس للنشر والتوزيع ، 2002 .

كامل محمد محمد عويضه : ديكارت رائد الفلسفة في العصر الحديث ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993.

لسلي ليبسون : الحضارة الديمقراطية ، تعريب فؤاد موسياتي وعباس العمر ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، 1970.

لطفي بركات أحمد : في الفكر التربوي الإسلامي ، الرياض ، دار المريخ ، 1982.

لمياء أيمن خيري : التربية على حقوق الإنسان ، الجيزة ، دار يسطرون ، 2018.

ليلى توفيق سلمان : حرية الفكر في الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، جامعة تكريت ، مجلد (3) ، ع (10) ، 2011.

ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ـ دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية ، ط 2 ، بيروت ، دار بن كثير ، 1985.

ـــــــــــــــ : أهداف التربية الإسلامية ـ دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة ، ط2 ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، 1988.

مالك مصطفى وهبي : الحرية الفكرية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي ، بيروت ، دار الهادي ، 2002 .

ماهر إسماعيل الجعفري : الفكر التربوي العربي الإسلامي في أصول التربية ، عمان ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، 2018 .

مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، 1983 .

محمد أسعد طليس : التربية والتعليم في الإسلام ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014.

محمد الحبيب ابن الخوجة : بين علمي أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية ، الجزء الثاني ، قطر ، وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية ، 2004 .

محمد الغزالي : الإسلام والاستبداد السياسي ، ط 6 ، القاهرة ، نهضة مصر ، 2005.

محمد حسين فضل الله : الإسلام ومنطق القوة ، ط3 ، بيروت ، الدار الإسلامية ، 1986.

محمد عبده : الإسلام بين العلم والمدنية ، القاهرة ، كلمات عربية للنشر والتوزيع ، 2011.

محمد عمارة : الحرية في الرؤية الإسلامية ، دراسات تربوية ، رابطة التربية الحديثة ، مج 7 ، ج 42 ، 1992.

محمد محمد سكران : الحرية الأكاديمية في الجامعات المصرية ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر ، 2001.

محمد منير مرسي : أصول التربية ، القاهرة ، عالم الكتب ، 2009 .

محمد نور فرحات : البحث عن العدل (السلطة والقانون والحرية) ، ب . ن ، 2000.

محمود أحمد درويش : مناهج البحث في العلوم الإنسانية ، القاهرة ، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع ، 2018 .

محمود مصطفى قمبر : الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية . دراسة تحليلية نقدية مقارنة ، اعمال المؤتمر العلمي الثالث "الديمقراطية والتربية في الوطن العربي"، كلية التربية جامعة الكويت بالاشتراك مع مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999 .

مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، 1998، .

مصطفى نمر دعمس : منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية ، عمان ، دار غيداء ، 2008.

ناصر دسوقي رمضان : ضوابط البحث العلمي في المنهجية الإسلامية ، الكويت ، وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية ، 2014.

نظام عساف : الحريات الأكاديمية بالجامعات العراقية ، عمان ، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان ، 2012.

نوربير سيلامي : المعجم الموسوعي في علم النفس ، الجزء الثاني ، ترجمة وجيه اسعد ، دمشق ، وزارة الثقافة ، 2000.

هاني سليمان الطعيمات : حقوق الإنسان وحرياته الاساسية ، عمان ، دار الشروق ، 2001 .

وندووند ي دونر ، رتشارد فمرتون : جون ستيوارت مل ، ترجمة نجيب الحصادي ، القاهرة ، آفاق للنشر والتوزيع ، 2011 .

يحيى رضا جاد : الحرية الفكرية والدينية ـ رؤية اسلامية جديدة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2013 .

Akerlind , Gerlese S & Kayrooz , Carole : Understanding Academic Freedom: The views of social scientists " Higher Education Research & Development Vol. 22, No. 3, November 2003 . avaliable at https://www.researchgate.net

Gadwal A.A ," Social research : concepts , methods and process " , united states , lulu publication , 2019 .

Resink.David B , " The Ethics of science: an introduction ", New York , library of congress, 2005 .

Sturges,Paul," Intellectual Freedom,Libraries and Democracy ", Libri Volume 66: Issue 3, 2016 .avaliable at https://www.degruyter.com

Webster Inc, Merriam: Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, New York, Library of Congress, 1991 .